

القيم الدينية والاجتماعية وتأثيرها على تصميم المباني السكنية في محافظة الأحساء بالمملكة العربية السعودية. (الحسينيات والمآتم الشيعية أنموذجاً)

Religious and social values and their impact on the design of residential buildings in Al-Ahsa Governorate, Kingdom of Saudi Arabia. Husayniyat and Shia funerals as a model and funerals

د. سعيد عبد الله الوائل - السعودية

البريد الإلكتروني: moon2110@hotmail.com

تاريخ القبول للنشر: ٢٠٢٣/٠٨/١٨

تاريخ التقديم للنشر: ٢٠٢٣/٠٥/٢٣

الملخص.

تركز هذه الدراسة في سياقها العام على المباني الدينية وبيوت العبادة في واحة الأحساء، والتي تعتبر من أهم المناطق الجغرافية والحضارية التي عاش فيه الإنسان على أرض الجزيرة العربية منذ القدم، اعتنق فيها العديد من الديانات ومارس فيها معتقداته الدينية عبر عصور مختلفة، مع التأكيد على العصر الإسلامي والذي كانت فيه الأحساء (البحرين قديماً) منارة من منارات الإسلام منذ العصر الإسلامي الأول ودخول أهلها طواعية في الدعوة المحمدية، وما تلا ذلك العصر من انقسامات في مختلف الدول والأمصار الإسلامية ومنها الأحساء، أدت لنشوء الفرق والمذاهب الإسلامية، بعقائدها الدينية واتجاهاتها ومدارسها الفكرية والفقهية والتي تعددت معها بيوت العبادة ومسمياتها والشعائر والطقوس التي تمارس فيها. تحاول الدراسة تسليط الضوء على تاريخ الأحساء ومدارسها الفكرية والمذهبية وعلاقتها بالمباني المعمارية الدينية حسب المذهب، من مساجد ومدارس دينية وحسينيات، وأسلوب عمارتها وطرق تخطيطها والممارسات الدينية فيها، مع التركيز على موضوع الدراسة حول أتباع المذهب الشيعي الجعفري، وصولاً لتتبع مشكلة الدراسة حول القيم الدينية والاجتماعية وتأثيرها على تصميم المباني السكنية في محافظة الأحساء بالمملكة العربية السعودية. (الحسينيات والمآتم الشيعية أنموذجاً).

Summary:

In its general context, this study focuses on religious buildings and houses of worship in Al-Ahsa Oasis, which is considered one of the most important geographical and cultural areas in which man lived on the Arabian Peninsula since ancient times, where he embraced many religions and practiced his religious beliefs through different eras, with an emphasis on the age Al-Ahsa (Bahrain in the past) was one of the beacons of Islam since the first Islamic era and the entry of its

people voluntarily into the Muhammadan call, and the subsequent divisions in various Islamic countries and cities, including Al-Ahsa, which led to the emergence of Islamic sects and sects, with their religious beliefs, directions, and schools of thought and jurisprudence Houses of worship, their names, rituals and rituals practiced in them multiplied.

The study attempts to shed light on the history of Al-Ahsa, its intellectual and doctrinal schools, and its relationship to religious architectural buildings according to the sect, such as mosques, religious schools, and hussainiyas, and its architecture, planning methods, and religious practices in it, with a focus on the subject of the study on the followers of the Jaafari Shiite sect, leading to tracking the problem of the study on religious and social values. and its impact on the design of residential buildings in Al-Ahsa Governorate, Saudi Arabia. (Hussainiyas and Shiite funeral homes as a model).

الإطار العام للدراسة.

المقدمة.

تدرج هذه الدراسة ضمن مجال التصميم المعماري الداخلي في العمارة الإسلامية وعلاقتها بالمؤثرات الاجتماعية والدينية، حيث شكلت المناسبات والشعائر الدينية المتعلقة بمقتل الإمام الحسين (ع) وبقية المناسبات الدينية الأخرى وإحيائها على مدار العام أهمية خاصة عند الشيعة في الأحساء وفي سائر البلدان، فأصبحت ظاهرة التعزية بالنسبة للمسلمين الشيعة على وجه الخصوص تعني قبل كل شيء، الاحتفال بذكرى استشهاد الإمام الحسين وإقامة العزاء له وللأئمة من آل البيت، حيث تقام مجالس التعزية عند مرقد الأئمة والمساجد والحسينيات والتكايا وفي بيوت العوائل (الزبيدي، ٢٠١٧، ص ٥٥٢).

ويدل عنوان الدراسة على تأثير العادات والتقاليد الاجتماعية والمعتقدات الدينية على شكل وتخطيط المباني السكنية، حيث تشكل الخصائص الدينية للمدينة جزء من حيزها المكاني لتعطي المدينة صفة خاصة تميزها عن غيرها من المدن وينعكس هذا على وظائفها وانشطتها الاقتصادية والاجتماعية (الكبيسي، ٢٠٢٠، ص ١٥٨).

ويتعرض الباحث في هذه الدراسة لموضوع الحسينيات وعمارته و عمارة البيت السكني في محافظة الأحساء بشكل خاص وتخطيطه عبر مراحل تاريخية مختلفة والمؤثرات التي أثرت في تكوينه وتخطيطه الداخلي عند الشيعة الإمامية وبخاصة المؤثرات الدينية التي تتمثل في إقامة الشعائر الدينية المرتبطة بذكرى مقتل الإمام الحسين وباقي مناسبات آل البيت (ع) من وفيات وموالد ومختلف المناسبات وبخاصة المجالس الحسينية الدورية التي تعقد طوال العام لإحياء ذكرى عاشوراء.

كذلك تتعرض الدراسة للتغيرات التي حدثت لل عمران التاريخي وبخاصة المسكن الأحسائي في العصر الحديث بسبب تغير نمط البناء التقليدي ودخول وسائل بناء حديثة وتطور بعض الوسائل المستخدمة في إقامة الشعائر وتأثيرها على التصميم والديكور الداخلي. فمع التطور الاقتصادي والتجاري أزيلت أغلب المعالم والمباني التراثية، وحلت المباني الحديثة محلها، بينما استمرت الأجزاء الداخلية من المباني التراثية مهمة مع تغير بظيء، مما أدى إلى ازدياد الضغط على المباني التراثية، وتسارع خطى الهدم والإزالة؛ لإفساح المجال للمباني الحديثة (الهيئة العامة للسياحة والآثار، 1431هـ، ص ٤٩).

تأتي فكرة الدراسة من كون الباحث من نفس البيئة محل البحث وعاش منذ طفولته مقتفياً أثر التحولات التي حدثت معززاً ذلك بالتوجه العام للباحث في توثيق طرز العمارة المحلية والبحوث والدراسات التي أعدها حول خصائص المعمار المحلي وجمالياته.

مشكلة الدراسة.

تحدد مشكلة الدراسة من خلال السياق الرئيس العام الذي يتمثل في وجود نمط عمراني سكني فريد اختصت به محافظة الأحساء شرق المملكة العربية السعودية، روعي من خلاله تخصيص مساحة من المسكن لإقامة الشعائر الدينية ملحق بالمسكن وجزء لا يتجزأ من التكوين والتصميم العام للمبنى. ومن خلال مساقات الدراسة سوف تتضح لنا إجابات الأسئلة التالية:

- ما مدى تأثير المناسبات الدينية والشعائر على تصميم المسكن في الأحساء وعلى النمط العمراني بشكل عام؟

- هل كان بالفعل هناك تأثير للمعتقدات الدينية والشعائر على المسكن في الأحساء؟

- ما هو هذا التأثير والأشكال التي اتخذها؟

وهو ما يسعى الباحث للإجابة عنه من خلال فصول هذا الدراسة ومن خلال الفرضيات المطروحة للدراسة.

أهمية الدراسة.

تأتي أهمية هذه الدراسة من خلال المتغيرات العمرانية الكبيرة التي حدثت في بلدان الخليج العربي من عدة نواح أهمها ما يختص بالعمران التاريخي وبخاصة في محافظة الأحساء محل الدراسة حيث أصبحت المباني التاريخية في بداية الطفرة الاقتصادية التي أعقبت اكتشاف النفط عبئاً ثقيلاً يجب التخلص منه والتحول عنه للبناء الحديث بكل تفاصيله، بحث أصبحت المباني المحلية نسخ مشوهة عن العمارة الغربية لا صلة لها بطبيعة المكان والبيئة المحلية من الناحية الاجتماعية والروحية والتصميمية، وهي الفرضية التي يحاول البحث دراسته من كون المساكن التقليدية في الأحساء كانت تتمتع بدرجة عالية في تكوينها وتصميمها العمراني الذي روعي فيه كافة النواحي التي تؤدي لراحة الساكنين وتلبية المبنى لوظائفه وحاجة ساكنيه.

يتميز هذا البحث بأصالته من حيث قلة الدراسات تناولت هذا الجانب التخصصي الدقيق في العمارة بما يحتوي عليه من وصف وتحليل دقيق لكافة الفراغات الداخلية للمسكن الأحسائي وعلاقتها بساكنيه، بما يدعم فرضية الدراسة المبينة على القيم الدينية والاجتماعية وتأثيرها على تصميم المباني السكنية في محافظة الأحساء، فلم يحض هذا الجانب إلا بإشارات بسيطة وسريعة هنا وهناك، حيث غالباً ما نجد التوجه نحو الدراسات والكتابة الوصفية التي تتناول المباني والعمارة التاريخية على وجه العموم، أو تتعرض لتوزيع عام للفراغات الداخلية للمبنى أو ما يختص بجمالياته وتكوينه الخارجي.

ومن الفوائد لهذه الدراسة:

- كونها دراسة تخصصية تدعم بقية الدراسات الأخرى التي لها صلة بهذا المجال ورافد للدراسات في التصميم العمراني.

- يمكن أن يفتح المجال لمزيد من الدراسات المتعلقة بهذا الجانب.

- تفيد هذه الدراسة في معرفة طبيعة المجتمع المحلي في الأحساء وتوجهاته المعرفية والفكرية وعلاقة الفكر الديني والمعتقدات والتقاليد المتبعة بالمبنى السكني ومدى تأثيره على تصميم المسكن.

- أصالة المعتقد الديني كجزء لا يتجزأ من فكر الإنسان المسلم الذي صمم وبنى مسكنه بوحى من عقيدته وانتمائه ومدى تمسكه بعقيدته الإسلامية وما بذله في سبيل تحقيق غايات روحية على حساب حياته اليومية حققت له جانب الرضا النفسي والعائدي.

- أهمية هذه الدراسة من كونها بحث تخصصي يربط علاقة الإنسان بالمبنى الذي يعيش فيه وتأثير حالته الروحية وانتمائه وعقيدته على تصميم المبنى

أهداف الدراسة.

تهدف هذه الدراسة إلى إثبات أهمية موضوع البحث وإلى الكشف عن خصوصية هذا الموضوع من خلال المعطيات والأدلة والشواهد التي يطرحها الباحث من خلال المنهج التحليلي النقدي.
هدف أساس:

- تأثير المعتقدات والنواحي الدينية على تصميم المباني السكنية عند الشيعة في الأحساء.
- دراسة مجمل المؤثرات الاجتماعية والدينية على تصميم المسكن في الأحساء.
أهداف ثانوية:

- دراسة تصميم وتكوين المسكن في الأحساء بشكل عام.
- مدى تأثير المناسبات والشعائر الدينية وواقعة كربلاء على تصميم المسكن في الأحساء.
- الاهتمام الذي عني به الأحسائيون في الاستمرار في إحياء الشعائر الدينية على مر التاريخ.
- المتغيرات التي حدثت في تصميم المباني الأحسائية قديماً وحديثاً.

أسئلة الدراسة فروضها.

السؤال الرئيس:

- هل كان للمناسبات والشعائر الدينية تأثير واضح على التصميم الداخلي للمباني السكنية في الأحساء؟
أسئلة فرعية:

- هل كانت هناك مبان مستقلة لإقامة الشعائر والمناسبات الدينية في محافظة الأحساء؟
- ما هو التأثير الذي تركه إقامة المناسبات والشعائر الدينية على التصميم الداخلي في مساكن الأحساء؟
- هل كان هذا التأثير مرتبط بعوامل وضغوط اجتماعية أو سياسية؟ أم أنه كان طوعياً وبقناعة السكان أنفسهم؟

- هل كانت المؤثرات الدينية على المسكن في الأحساء مخلة ببقية مكونات وفراغات المسكن وراحة ساكنيه؟
- هل كانت المتغيرات على المسكن تتم مباشرة أثناء البناء منذ التأسيس؟ أم أنها قد تأتي لاحقاً وعلى مراحل حسب الحاجة؟

- هل كانت هناك مؤثرات خارجية أو مؤثرات عامة ترتبط بالشعارات والرموز المستخدمة في المناسبات الدينية في الأحساء؟

الفروض:

- التأثير الواضح للمناسبات والشعائر الدينية على تصميم المسكن الأحسائي.

- تختلف درجة التأثير وأشكالها بحسب موقع المسكن (مدينة - قرية) وعلى مستوى صاحب المسكن الاقتصادي ومكانته الاجتماعية.

- المؤثرات الخارجية للديكورات المرتبطة بإقامة المناسبات والشعائر الدينية التي كان يجلبها سكان الأحساء من إيران والعراق.

حدود الدراسة.

- الحد المكاني: محافظة الأحساء شرق المملكة العربية السعودية.

- الحد الزمني: تتحدد الفترة الزمنية للبحث في العصر الحديث خلال المئتين سنة الأخيرة، مع التطرق لا لتاريخ القديم للأحساء، مع ما حدث من متغيرات فيما يختص بموضوع الدراسة في العصر الحديث.
المتغيرات:

المتغير الأول: متغير مستقل

- العمارة وطرز البناء المحلية والمؤثرات التي دخلت في تصميم المسكن الأحسائي التقليدي عبر مراحل زمنية مختلفة.

المتغير الثاني: متغير تابع

- يرتبط بإقامة المناسبات والشعائر الدينية وطرق ممارستها وأماكن ممارستها وديكورات هذه المناسبات.
- دراسة التغييرات الاجتماعية في مجتمع الدراسة خلال الفترة الزمنية المشار لها واستمرارية المعتقدات الدينية ورسوخها لدى أهل الأحساء.

منهج الدراسة وخطواتها.

- تتبع هذه الدراسة أسلوب المنهج الوصفي التحليلي من خلال وصف الظاهرة محل الدراسة الذي يهدف إلى توفير البيانات والحقائق عن مشكلة الدراسة بغرض تفسيرها والوقوف على دلالاتها وتحليلها ومقارنتها، ودعم هذا المنهج بالأدلة والبراهين العلمية والمادية التي للوصول أهداف الدراسة.

- تستند الدراسة على العمل الميداني وجمع المعلومات الموثقة من أصحاب الشأن (سكان الأحساء) ورفع المخططات.

أدوات الدراسة:

- العمل الميداني المباشر في منطقة البحث.

- إجراء اللقاءات والاستبيانات التي تدعم موضع البحث.

- تدعيم البحث بالصور والمخططات والرسومات المعمارية والبيانية التي تتعلق بموضوع البحث.

مصطلحات الدراسة.

فيما يلي توضيح لأهم مصطلحات البحث:

القيم الدينية:

القيم الدينية هي الأخلاق والمبادئ والسلوكيات التي يتمسك بها الإنسان ويسير عليها بوحى من دينه وعقيدته. وهذه القيم ترتبط بمثل عليا وتعاليم يحظ الدين على التمسك بها ورعايتها، وهي مبادئ وأخلاق لها أصول وتشريعات مكتوبة في النصوص والكتب الدينية المقدسة (الوايل، ٢٠١٧م، ص ٢٢).

الحسينيات:

الحسينية جمعها حسينيات، هي أوقاف إسلامية سميت بذلك نسبة إلى الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، والمجالس الحسينية هي المجالس التي تعقد في أيام عاشوراء أو الأيام الأخرى في المساجد والحسينيات والدور لتخليد ذرى الحسين وإحياء واقعة عاشوراء. وكان الشيعة يعقدون تلك المجالس ويتداولون فيها أحداث كربلاء وما جرى فيها من مصيبة على الحسين وأهل بيته، حتى أصبحت تلك المجالس نواة ثقافة يتواصل فيها شيعة أهل البيت مع مختلف علوم آل محمد (ص) (جعفر، ٢٠١٥، ص ١٨٣).

المآتم:

المآتم جمع مآتم وهو مكان إقامة الشعائر والمناسبات الدينية وهو مصطلح مرادف لكلمة (حسينية).

تصميم المسكن:

هو الأمر المختص بتوزيع الفراغات الداخلية للمبنى السكني بين غرف المعيشة وغرف النوم والخدمات الأخرى في المسكن (معاوي، ٢٠١٧م، ص ١٧٤)، وما قد يلحق بها من وجود حسينية تقام فيها الشعائر الدينية.

الشعائر الدينية:

جاء ذكر الشعائر في عدة آيات في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ سورة الحج، آية (٣٢)، هذه الآية من جملة الأدلة التي يعتمدها الشيعة الإمامية كمستند على الأساس الذي اعتمده الفقهاء في مشروعية تلك الشعائر ورجحانها، حيث يحتل موضوع الشعائر الحسينية حيزاً مهماً في كلمات فقهاء الشيعة الإمامية. وتتنوع صور تلك الشعائر من البكاء ولبس السواد وغير ذلك من صور التعبير عن مقتل سبط رسول الله (ص). والشعيرة والشعارة والمشعر كالشعار، قال اللحياني: شعائر الحج مناسكه، واحداثها شعيرة" (ابن منظور، ١٩٨١م، ص ١٣٥). وقد اختلف المفسرون في المراد من

الشعائر في الآية المباركة، قال الطبرسي في تفسير الآية: (ومن يعظم شعائر الله) أي معالم دين الله والأعلام التي نصبها لطاعته.

الفراغات الداخلية:

الفراغ الداخلي هي المساحة المحددة من الأرض داخل المبنى، وتنقسم الفراغات الداخلية داخل المبنى إلى فراغات مفتوحة وفراغات مغلقة، والفراغات المفتوحة هي المساحة المفتوحة داخل المبنى من دون وجود محددات مثل السقف والجدران الجانبية، أما الفراغات المغلقة فهي المساحة المحددة بجدران وسقف ومدخل خاص لها (معاوي، ٢٠١٧م، ص ١٧٣).

عشرة محرم:

تشكل الأيام العشرة الأولى من شهر محرم، الشهر الأول من السنة الهجرية، ذروة موسم الاحتفالات الشيعية. ترمي شعائر الأيام العشرة الأولى من محرم إلى التذكير بالوقت الذي حاصرت خلاله القوات التابعة لوالي البصرة الإمام الحسين والمجموعة الصغيرة المرافقة له في سهل كربلاء. وتتركز الاحتفالات في كل يوم من الأيام العشرة على مقطع من الأحداث الأليمة التي وقعت هناك (هايم، ٢٠١١م، ص ٦٧).

التشبيه:

التشبيه أو التشابيه هي نوع من التمثيل المباشر لواقعة أو حادثة مؤثرة وقعت يوم كربلاء أو مرتبطة به، يتم تمثيلها بمؤثرات عدة، الهدف منها إثارة الشجن والحزن في نفوس المشاهدين، وتصاحب مواكب التشبيه، الرايات الملونة الكبيرة والهواج المضاءة بالمشاعل أو المصابيح أو الشموع، مما يؤدي لخلق جو طقوسي مثير. وتسير هذه المواكب وسط الجموع الغفيرة من النساء والرجال الذين يشاركون بالقصائد، والترديد الجماعي أيضا كخلفية للراوي والكورس المشارك.

الديكور الداخلي للحسينيات:

تأخذ الحسينيات التي تقام فيها الشعائر أنماط معينة من الديكورات الداخلية التي تزين بها الحسينيات وأماكن إقامة العزاء أو الفرح، بغرض إضفاء أجواء روحانية مناسبة للمكان، وأشهر أنواع الديكور الداخلي الرايات والأعلام والكتابات المعلقة والسواد أو القماش الأسود الذي يوضع على جدران الحسينية أو المأتم طوال شهري محرم وصفر. غالباً ما يوضع في واجهة الحسينية أو في وسطها منبراً مكسوً بالسواد يرتقيه الخطيب (الزبيدي، ٢٠١٧، ص ٥٥٢).

العادات والعشرات للرجال والنساء:

العادات جمع عادة وهي تطلق على المكان الذي تعود فيه صاحبه إقامة الشعائر الدينية فيه، وأشهرها عادة العشرة، أي عشرة أيام متواصلة يحضر فيها الناس كمستمعين لوجود خطيب (ملا) يخطب في الناس بالوعظ والإرشاد وذكر المناسبة التي لأجلها أقيمت العشرة. وأيام العشرة الأولى من شهر محرم المعروفة بأيام (عاشوراء) ساهمت عوامل دينية واجتماعية في تطويرها بالشكل الذي نراه اليوم (الزبيدي، ٢٠١٧، ص ٥٥٢).

في أغلب الحسينيات يكون هناك قسم للرجال وآخر للنساء منفصل عن قسم الرجال، كذلك في المآتم التي تقام في المباني السكنية، قسم للرجال وآخر للنساء، وقد تكون العادة للنساء فقط أو للرجال فقط.

بيوت العبادة في الحضارات القديمة

٢- لمحة تاريخية

خطت الدراسات التاريخية في مجال العمارة خطوات هامة وكبيرة في رصد معالم الحضارية الإنسانية لمختلف الحضارات وعبر مختلف العصور، وأكدت على تطور العمارة مع تطور البشرية، وبخاصة الجانب الاجتماعي للعمارة، والذي يشكل الأساس في التفاعل بين الإنسان والمكان كجانب حضاري وثقافي تتابعت الأمم والحضارات على تأكيد هويتها من خلاله، ويرى رفعة الجادرجي أن وظيفة العمارة في مجتمع الإنسان، ليست أداة سكن وخبز والتخلص من الفضلات فحسب، ولا تنحصر في أداة إرضاء الحاجات النفسية والحماية فقط، وإنما هي كذلك أداة حوار اجتماعي والتعبير عن الهوية، وعن وعي موقع الذات في الوجود. فالعمارة أداة حوار (الجادرجي، ٢٠١٤، ص ١٦).

وقد تصدى الكثير من الكتاب والباحثين العرب والأجانب للكتابة عن موضوعات مختلفة تتعلق بالعمارة الإسلامية ووظائفها، ومع وجود دراسات جادة إلا أن معظم الدراسات ركزت على الجوانب الجمالية والجوانب الشكلية الظاهرية وخصوصاً فيما يتعلق بالتصميم الداخلي للمسكن، واغفلت الدخول في مجال دراسة السلوك والعقائد الإنسانية وعلاقتها بتكوين وتصميم المبنى. والأمثلة كثيرة، منها على سبيل المثال لا الحصر (البيت العراقي في بغداد ومدن عراقية أخرى) للكاتب (أوسكار رويتر)، وكتاب (بيت السكن) للكاتب (سعد بن جنيدل) وكتاب (البيت الكويتي القديم) للكاتب (محمد الخرس ومريم العقروقة)، وكتاب (نهج البواطن في عمارة المساكن) للمهندس طارق والي، والتي سوف يتناول الباحث بعض ما جاء فيها في الفصول القادمة

تمثل الممارسات العبادية والشعائر الدينية وارتباطها بالعمارة علاقة جدلية منذ القدم، ظهر من خلاله تأثير الفكر الديني على العمارة، حيث بنى الإنسان المباني الدينية ودور العبادة وخصها بعقيدة وأسبغ عليها فكره

وروحانية خاصة، وأتحفها بالرموز الدينية التي تشير إلى قداسة ذلك المبنى أو مكان العبادة، ويؤرخ لأكثر المباني التي عرفتها البشرية تميزاً والبوابات العظيمة كانت ترمز من قريب أو من بعيد إلى معتقد وأساس ديني، واختصت تلك المباني بهندسة معمارية ميزتها عن باقي مباني الحضارية ببواباتها ورموزها التي كان تصاحبها، "فبوابة عشتار على سبيل المثال في حضارة بلاد الرافدين كانت تحف بها أشكال الأسود التي كانت ترمز للآلهة عشتار" (طه باقر، ٢٠١٢، ص ٦٢٥).

ومن المرجح في أن المباني الدينية كانت في الغالب تشير إلى تجمعات ومراكز عمرانية رئيسة تحيط بها بقية مباني المدن والقرى والتجمعات السكنية، وهي شواهد حية تعكس أهمية العمران وعلاقته الروحية بالإنسان الذي بنى هذه العمارة.

ينطبق مفهوم العمارة الدينية على المباني التي شيدت كأماكن خاصة للعبادة من أجل ممارسة الشعائر أو العبادات أو الطقوس الدينية وقد عرف الإنسان هذا النوع من المباني منذ أقدم العصور بل كانت من أهم المباني وأكبرها والأكثر ديمومة لاهتمام الإنسان بعمارته ورعايتها ومحافظة عليها، والأمثلة كثيرة عند مختلف الشعوب والديانات، والتي سوف نتعرض لأمثلة منها.

لم تكن بيوت العبادة مشيدة نتيجة ترف فكري أو عمراني بل كانت تعتمد في أساسها وأصولها على الفكر الديني ودوره في الحياة، وهو ما يؤكد موسكاتي "ففي حضارة الشرق الأدنى القديم كان الدين هو العامل المسيطر في كل ركن من أركان الحياة الإنسانية. وكانت النظرة إلى الأدب والقانون والفن تسير في نطاق الدوافع الدينية. وكانت هذه المواقع متغلغلة في كل مظهر من مظاهر الحياة، ولعل هذه أبرز خصائص الحضارة في الشرق الأدنى القديم. فكان الدين خلاصة القيم الإنسانية" (موسكاتي، ١٩٥٧م، ص ٧٤).

غالباً ما تعبر المباني الدينية وطرزها المعماري عن العصر الذي بنيت فيه، وقد ظهرت العديد من الخصائص والعناصر العمرانية التي انتقلت لبقية المباني المدنية والتي كانت في الأساس ترتبط بعمارة المباني الدينية مثل أنماط الأعمدة والعقود والبوابات. وتعتمد المواد المستخدمة في عمارة المباني الدينية على طبيعة المكان والبيئة مثل استخدام الأعمدة الخشبية والأسقف المزينة بالنقوش والرسوم في المناطق ذات الوفرة الخشبية، وأكثر ما يميز عمارة المباني الدينية وجود القاعات والردهات التي كان تبنى من أجل خدمة أغراض دينية يجتمع فيها المتعبدون حسب طبيعة الطقوس والشعائر التي تمارس.

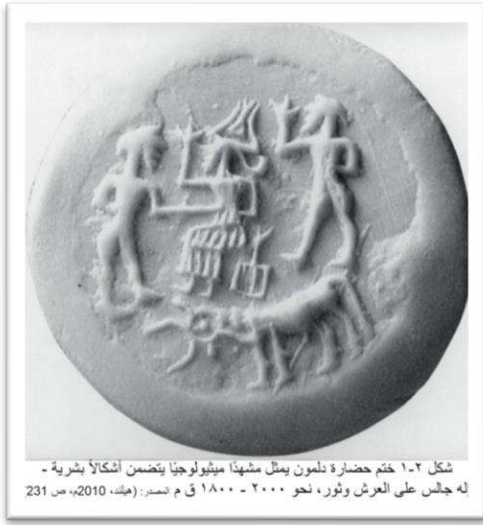
وتختلف عمارة المباني الدينية من عدة نواحي:

- نوعية الطقوس والعبادات التي تمارس فيها.

- أعداد الأفراد والجماعات التي تنتمي لهذا الدين أو العقيدة.

- عمارة المكان والعصر الذي شيدت فيه، وطبيعة مواد البناء المتوفرة. غير أن العبادة وممارسة الشعائر لم تكن مقتصرة على المباني الدينية وإنما كان المسكن الذي يعيش فيه الإنسان أحد الأماكن التي تمارس فيه العبادة لدى مختلف الديانات، ويمكن أن نجد بعض التداخل بين العمارة الدينية والعمارة السكنية على أساس تأثير العمارة الدينية على النسيج والمحيط العمراني العام، إضافة لوجود فراغات سكنية في نفس المباني الدينية مثل المضافات والفراغات التي يقيم فيها رجال الدين والعاملين في تلك المباني، ففي الحضارة المصرية كان التشابه واضح بين المخطط العام لمعبد مصري عادي من الدولتين الوسطى أو الحديثة وأي قصر ملكي أو حتى لمنزل من الطبقة العليا من المصريين (تشرني، ١٩٩٦، ص ١٥٦).

بيوت العبادة في مختلف الحضارات:



شكل ١-٢ ختم حضارة دلمون يمثل مشبهًا ميثولوجيًا يتضمن أشكالاً بشرية - له جالس على العرش وتور، نحو ٢٠٠٠ - ١٨٠٠ ق م مصدر: (مهند، 2010، ص 231)

مرت بيوت العبادة بمراحل تطور مختلفة تدرجت فيها البناء من المباني البسيطة إلى أن وصلت إلى مراحل أكثر تطوراً وتعقيداً، حتى في أكثر الحضارات المتدينة تطوراً، ففي الديانة المصرية القديمة في عهد ملوك الأسرة الفرعونية الأولى كان المعبد عبارة عن كوخ صغير أقيمت جوانبه وسقفه ذي القبة من أعواد النباتات، وأمام هذا الكوخ ساحة غالباً ما تحاط بسور منخفض، وكان يوضع في وسط هذه الساحة الرمز الخاص بالمعبود (عرفة، ٢٠١١، ص ٢٧).

ومن جملة التطورات التي ارتبطت ببناء بيوت العبادة أنها لم تكن تبنى مثل بقية المباني بالنسبة لبداية البناء والطقوس المصاحبة لذلك، فقد كانت هناك طقوس خاصة عند تشييد المعبد أو افتتاحه، ففي الحضارة المصرية القديمة كان تأسيس المعبد يتميز باحتفال يطلق عليه (امتداد خيط أو حبل القياس) ويطلق ذلك الاحتفال بالنسبة للجزء الأكثر أهمية في التأسيس، وكانت الشخصية الأولى في هذا الاحتفال هو الملك نفسه أو كبير الكهنة المرتلين وكاتب الأسفار المقدسة (تشرني، ١٩٩٦، ص ١٧٥).

ويمثل موقع المعبد أو بيوت العبادة بالنسبة للمدينة في الحضارات القديمة محور الاهتمام منذ تأسيس المدينة أو المستقرات الحضارية، ولا شك أن المدينة تستدعي التفكير مباشرة بالمعبد الذي سيكون مركز المدينة والذي سيساهم في ظهور المؤسسة الدينية الرسمية الممثلة بالكهان، وهو ما سيدفع لظهور المؤسسة السياسية

وجهة المالك الذي كان كاهناً وملكاً في البداية ثم تم عزل سلطاته الروحية عن الدنيوي فيما بعد (الماجدي، ١٩٩٧، ص ١٣٦).

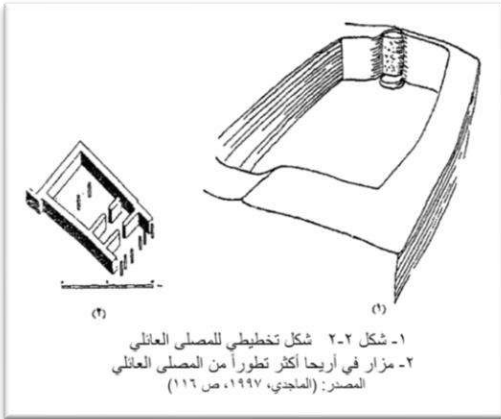
وفي ظل هذه المعطيات المختصة ببناء بيوت العبادة، قد يدور جدل وتساؤل حول من كان يقوم ببناء تلك المعابد - الناس أم الملوك أم رجال الدين - وما علاقة ذلك بالمبنى وعمارته؟ وهل لذلك تأثير على تصميم المعبد وفراغاته الداخلية ومساحته وحجم البناء فيه؟

يرى الباحث، أنه لا يمكن دراسة بيوت العبادة بمعزل عن الدين أو الطقوس التي كان يمارسها المتعبدون، فهي الأساس الذي تتمحور حوله طرق وأساليب التخطيط العمراني لتلك المباني. فمن ناحية معمارية كانت سيطرة الدولة والحاكم وإدارتها لبيوت العبادة عامل مؤثر كبير في عمارة تلك البيوت ودرجة رقيها المعماري وضخامتها (خصوصاً مع حمل الحاكم صفة الإله أو المنصب من الآلهة)، وحملت بيوت العبادة من هذا النوع توجهات اقتصادية وسياسية قصدتها الحكام حتى وان لم تكن معلنة. إضافة لفرض هيبة الدولة وإثبات عظمة الحاكم من خلال عظمة المبنى، لذا كان في بعض الحضارات بيوت عبادة خاصة بالطبقة الحاكمة، في المقابل كانت بيوت العبادة التي شيدها عامة الناس صغيرة ومتواضعة في التصميم والمساحة ومشيدة بمواد متواضعة.

أسماء بيوت العبادة:

إن البحث في بيوت العبادة وأسمائها هو بحث في تاريخ الإنسان منذ وجوده على هذه الأرض، ويرتبط ببداية ممارسة الإنسان للعبادة والطقوس الدينية على أساس أن الدين موجود بوجود الإنسان على ظهر الخليقة سواء عند الشعوب البدائية أو المتحضرة، وفيما يتعلق بأسماء بيوت العبادة في العصور القديمة يشير خزعل الماجدي إلى أسماء ثلاثة معابد في عصر النيوليت (العصر الحجري الحديث قبل الفخاري) "شهد ظهور ثلاثة أنواع من أماكن العبادة وهي:

١- المصلى العائلي: وهو الذي وجد في أريحا وكشف عنه كنيون، وهو مكون من أربعة جدران تكون ملحقة بالمنزل ويظهر العمود الصغير الذي شبهه الماجدي بالنصب المسمى



ب (المسبوت) لدى الساميين على أحد الجدران وقد يرتبط هذا المصلى بطقوس عبادة عائلية.

٢- المزار: والذي وجد في أريحا أيضاً. وهو أكثر تطوراً في المصلى العائلي

٣- المقام وهو معبد بدائي متصل بمقبرة لونت جماجم موتاها بالأحمر والأسود ومعهم حليهم الخاصة" (الماجدي، ١٩٩٧، ص ١١٦) (شكل ٢-٢)

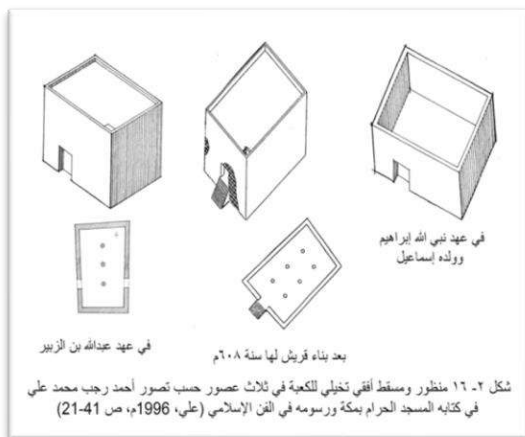
أخذت بيوت العبادة في مختلف العبادات والأديان الطوائف مسميات كثيرة، إذ يمكن ملاحظة وجود صيغ أو أسماء مستقلة عند بعض الأديان، وكذلك قد تكون أسماء مشتركة لوصف بيوت العبادة في بعض الحضارات والأديان، مثل (معبد) و (بيت) و (زيقورة) و (كعبة) و (هيكل) و (دير) و (كنيس) و (كنيسة) و (محراب) و (مسجد) و (جامع) و (مصلى) و (حرم) و (مقام) و (ضريح)

وفي النقوش العربية الجنوبية القديمة كان "مصطلح (بيت) (X٩٣١) واستخدامها شائعاً بين العرب أنها من الألفاظ التي تعطي معنى (معبد) وجاء في الأكديّة عبارة (بيت إيل) لتعني (بيت الإله)، وتأتي الألفاظ الآتية: بت (X٣١) وبيت (X٩٣١) وأبت (X٣٦١) وأبييت (X٩٣٦١) لتعطي معنى: (عشيرة، عائلة، أسرة، بيت، ضيعة، معبد)" (الحمد، ١٩٨٩م، ص ٢٠٤).

بيوت العبادة في الجزيرة العربية قبل الإسلام:

اختلفت الأصول المعمارية للمباني الدينية وبيوت العبادة في المدن والمستقرات الحضارية في شبه الجزيرة قبل الإسلام من حيث أهميتها واتساعها وحجم عمرانها، ونمى وتطور عمران هذه المدن إما لأهميتها التجارية أو الزراعية أو الدينية، فبينما كانت بعض المدن تجمعات بسيطة منزوية على طريق القوافل بالقرب من مصادر المياه؛ كانت مدن أخرى تمثل واحات زراعية أو مراكز دينية هامة يقصدها العرب مثل مكة

المكرمة "فدورها الديني يؤلف ما يمكن أن ندعوه وظيفة مدنية فائقة. حيث تحتفظ مكة بقداستها التي كانت تتمتع بها في عصور الجاهلية وما قبل الإسلام لوجود الكعبة، وكانت مكة في ذلك الوقت مركزاً تجارياً على طرق القوافل التي تصل اليمن والحبشة بالهلال الخصيب عن طريق الحجاز" (سوفير، ١٩٩٠م، ص ٨٢).



شكل ٢-١٦ منظور ومسقط أفقي تخيلي للكعبة في ثلاث عصور حسب تصور أحمد رجب محمد علي في كتابه المسجد الحرام بمكة ورسومه في الفن الإسلامي (علي، 1996، ص 41-21)

الكعبة:

تعتبر الكعبة في مكة المكرمة من أهم بيوت العبادة في الجزيرة العربية وأكثر "مواقع الحج شهرة لجميع العرب في فترة ما قبل الإسلام وبعد الإسلام" (zyoud، 2003، ص ٨٩). والتي يتميز بناؤها بأنه على شكل مربع تمارس الطقوس العبادية حوله، وليس داخله كما هو المتعارف عليه عند الكثير من الديانات في بيوت العبادة، التي يجتمع الناس بداخل المبنى العبادي. غير أن قريش اتخذوا من الكعبة بيت عبادة ووضعوا بداخلها (هبل). ويذكر الأزرقى أن "جدران الكعبة شيدت من مداميك أو صفوف متبادلة من الحجر ومن الخشب وكان المدماك الأرضي من الحجر وفوقه مدماك من الخشب وفوق الخشب مدماك من الحجر وهكذا إلى المدماك الأعلى الذي يرتكز عليه السقف، وبلغ عدد المداميك ٣١ منها خمسة عشر من الخشب وستة عشر من الحجر" (الباشا، ١٩٩٩م، ص ٢٠). (شكل ٢-16)

وقد كانت هناك عدة أماكن لبيوت العبادة في الجزيرة العربية عرفت باسم (كعبة) قبل الإسلام، والتي كان يحج إليها العرب، ويبدو أنها شيدت في مراحل تاريخية لاحقة بعد بناء كعبة مكة ومن أهمها (كعبة نجران) والتي أخذت شهرة واسعة وصل صداها حتى العقد الإسلامي. وترجع حنان جاسم من أسباب شهرة كعبة نجران أنها كانت تقع على الطريق التجاري آنذاك وهو طريق البخور الذي يربط اليمن عن طريق نجران بمحاذاة البحر الأحمر إلى مكة ويثرّب ثم الأنباط وغزة (جاسم ٢٠٠٥م، ص ٢٩).

ويذكر جواد الحمد كان هناك عدد من الكعبات تحج لها القبائل العربية التي كانت لبعضها بيوت عبادة معروفة في الجزيرة العربية، فكانت مذبح تحج إلى (يعوق)، وهمدان إلى (رئام)، وكانت العرب إذا أرادت حج البيت، وقفت كل قبيلة عند صنم، وصلوا عنده ثم يطوفون حوله ويلبون (الحمد، ١٩٨٩م، ص ٥٢).

بيوت العبادة والأرض المقدسة:

من الأمور التي ارتبطت كثيراً بعمارة بيوت العبادة هي الأماكن والأراضي المقدسة، منها ما ورد فيه نصوص صريحة في الكتب السماوية، ومنها ما عرف عند بعض الأديان الوضعية، فقد ذكرت الأماكن المقدسة في القرآن الكريم في عدة آيات على سبيل المثال، عندما خاطب الله عز وجل نبيه موسى في قوله تعالى: (إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى) سورة طه، آية (١٢). وقوله تعالى: (وَنَجِّبْنَاهُ وَوُطًأ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ) سورة الأنبياء، آية (٧١).

ويذهب ديفد سوفير في جغرافية الأديان إلى أن "هناك بعض الأماكن التي تتسم بوجود صفات مقدسة فيها. وتكمن القداسة عادة في الشجر أو الصخور، أو التلال، أو البحيرات أو الكهوف أو يمكن أن تظهر في أماكن لها علاقة بشخص مقدس أو حادث مقدس. وهناك نوعان من القوى المقدسة: النوع الجذاب الذي يجعل من

المكان المقدس مزاراً، أو النوع المنفر والمخيف الذي يجعل من المكان حظراً أو منعاً أو حتى لعنة ويصبح محظوراً على الجميع ما عدا بعض الأشخاص المعصومين" (سوفير، ١٩٩٠م، ص ٧٨).

في الديانة التوراتية كان لليهود قديماً اهتمام وتقديس لأماكن مقدسة غير بيت المقدس، "فأعطوها قدسية واحتراماً باعتبارها أماكن للعبادة ظهرت فيها تجليات إلهية، وخاصة الجبال مهبط الوحي مثل جبل (حوريب) في طور سيناء، إذ نادى الله سبحانه كلمه موسى عليه السلام وأعطاه الشريعة. فقال (لا تقترب إلى ههنا، اخلع حذاءك من رجلك لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة)" (الموحي، ٢٠٠١م، ص ١١٩).

وهو ما ورد أيضاً في دعاء (السّمات) الذي يرويه الشيعة الإمامية عن أهل البيت (ع) وذكر فيه جبل (حوريب) وليس (حوريب) (وَأَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ بِمَجْدِكَ الَّذِي كَلَّمْتَ بِهِ عَبْدَكَ وَرَسُولَكَ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ (ع) فِي الْمُقَدَّسِينَ وَفِي جَبَلِ حُورَيْبٍ فِي الْوَادِ الْمُقَدَّسِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ مِنَ الشَّجَرَةِ)، وهو جبل بأرض مدّين خوطب عليه موسى أول خطابه (الرشتي، ٢٠٠٣م، ص ١٢٩).

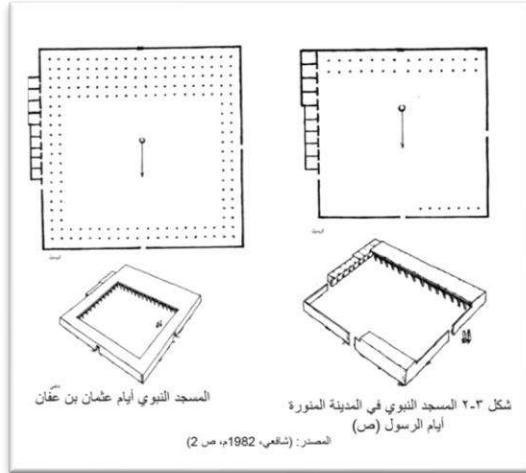
الفصل الثالث: بيوت العبادة في الإسلام.

المسجد:

في الدين الإسلامي تؤدي الصلوات اليومية بشكل جماعي أو فردي، في (المسجد) وهو بيت العبادة عند المسلمين الذي تؤدي فيها الصلوات اليومية الخمس، مع وجود تعدد لأسماء المسجد مثل المسجد الجامع و (المصلى). والمسجد والمسجد في اللغة العربية: الذي يسجد فيه، وفي الصحاح: واحد المساجد. وقال الزجاج: كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد، قال رسول الله (ص) (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً). وقال ابن الأعرابي: (مسجد)، بفتح الجيم، محراب البيوت. ومصلى الجماعات (مسجد) بكسر الجيم، والمساجد جمعها. والمساجد أيضاً الأراب التي يسجد عليها، والأراب السبعة مساجد (ابن منظور، ١٩٨١م، ص ١٩٤٠). لقوله تعالى: (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) سورة الجن، آية (١٨)، قيل هي مواضع السجود من الإنسان: الجبهة والأنف واليدين والركبتان والرجلان (ابن منظور، ١٩٨١م، ص ١٩٤١).

تخطيط وعمارة المسجد في الإسلام:

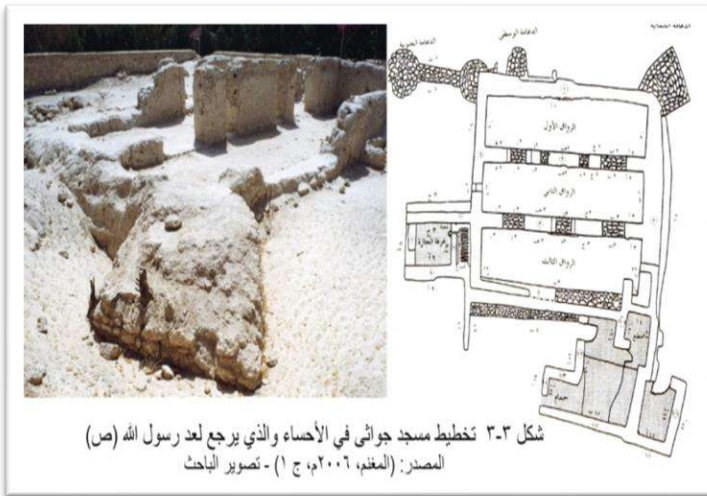
جاءت عمارة المسجد في صدر الإسلام بتخطيط بسيط خالية من الكثير من العناصر التي لحقت به فيما بعد، وكان عبارة عن ظلة مسقوفة تظل رواق القبلة مع وجود باحة تتقدمه، فقد تأسس المسجد في بداية نشأته نتيجة حاجة ماسة عند المسلمين وليس ترفاً وهو يشير له جوزيف شاخنت فقد "ظهر تلبية لحاجة مزدوجة هي الحاجة إلى مكان عام يسع الجماعة الإسلامية وحدها والحاجة إلى مكان يتميز عن غيره من الأمكنة المسيحية والزرادشتية أو اليهودية وهكذا فإن المسجد لم يكن نتيجة مباشرة لطبيعة الفتوح الإسلامية التي أدت في أول



الأمر على الأقل إلى وضع المسلم في صورة أقلية أو جعلتهم يسكنون في مدن منفصلة خاصة بهم وفي كلتا الحالتين لم يكن من الممكن استخدام المباني القديمة أو تقليدها" (شاخت و بوزورث، ١٩٧٨م، ص ٢٩٩).

ويعتبر فريد شافعي أن نقطة البداية في عمارة المساجد وفي تاريخ العمارة العربية الإسلامية بشكل عام كانت في "دار رسول الله (ص) في المدينة المنورة بعد هجرته إليها، ثم ما توالى عليها، بعد أن تحولت إلى مسجد، من إضافات

وتعديلات ومن مراحل تطور حتى انتهى إلى شكله النهائي في أيام عثمان بن عفان (رض) سنة (٢٩ هـ - ٦٤٦م)، والذي صار نموذجاً يحتذى به المسلمون في تشييد مساجدهم في أنحاء العالم الإسلامي" (شافعي، ١٩٨٢م، ص ٢). (شكل ٢-٣). حيث انتشر في الجزيرة العربية ما يعرف بالطراز النبوي أو ما كان نسبة تخطيطه إلى مسجد النبي (ص) في المدينة المنورة وانتشر بعد ذلك في العالم الإسلامي، وهو عبارة عن صحن يتقدم رواق القبلة، وقد ساد هذا النمط وانتشر بصفة رئيسة في مصر والشام والعراق والجزيرة العربية وأقطار المشرق الإسلامي (الحداد، ٢٠٠٦م، ص ٥٧١)، ويعد مسجد جواثي في الأحساء نموذج من المساجد الإسلامية المبكرة التي تأثرت بعمارة مسجد النبي (ص) في المدينة المنورة في صدر الإسلام. (شكل ٣-٣)



وعلى غرار تخطيط مسجد النبي (ص) في المدينة بنيت المساجد الأولى في المدن التي دخلها الإسلام سواء على أيام النبي (ص) مثل مسجد جواثي في هجر (الأحساء)، أو "في البلاد التي فتحها المسلمون في عصر الخلفاء الراشدين مثل مسجد البصرة ومسجد الكوفة في العراق ومسجد عمرو بن العاص في الفسطاط في مصر، إذ كان كل منها

عبارة عن فناء ذي أضلاع أربعة، يشتمل في جانب القبلة على ظلة" (الباشا، ١٩٩٩م، ص ٢٢٠).

في القرن السادس الهجري (١٢م) يذكر حسن الباشا بأنه "ظهر طراز ثان لتصميم المساجد الجامعة ويتألف هذا الطراز من صحن أوسط مكشوف أو مسقف به أو اوين أربعة مسقفة بقبوات. ويرجع حسن الباشا تطور هذا الطراز إلى طراز المدرسة الذي يرجع نشأته في إيران وقد انتشر هذا الطراز بعد ذلك في سائر أنحاء العالم الإسلامي" (الباشا، ١٩٩٩م، ص ٢٢١).

التطور الذي طرأ على بيوت العبادة في الإسلام وبعد وفاة النبي محمد (ص):

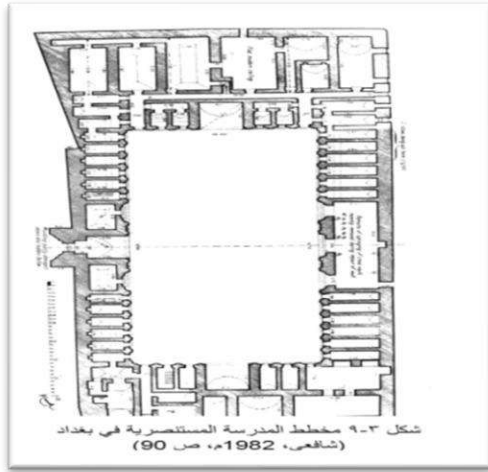
يقودنا البحث في بيوت العبادة في الإسلام وما حدث فيها من تطور، إلى التطرق للإطار التاريخي وما مر به الدين الإسلامي من أحداث سياسية وعقائدية حدثت بعد وفاة النبي محمد (ص) وكانت الأساس والمؤثر الأول فيما حدث من تطور لبيوت العبادة في العصور الإسلامية التي تلت وفاة النبي (ص). لمحاولة فهم المتغيرات والتطورات الدينية التي حدثت عند المسلمين بعد نشوء المذاهب والطوائف الإسلامية، والتي صاحبها متغيرات عديدة، بداية من زمن الخلفاء الراشدين ثم الدولة الأموية والعباسية وما تلاها تطورات وانقسامات مذهبية عبر عصور إسلامية مختلفة، تنقلت معها عاصمة الدولة الإسلامية إلى مناطق مختلفة، وبمذاهب متعددة.

التطور في أنواع وأنماط بيوت العبادة عند المذاهب والطوائف الإسلامية:

من خلال العرض التاريخي السابق نصل هنا إلى تأثير ذلك على أنماط بيوت العبادة عند المذاهب والفرق الإسلامية، فبالإضافة إلى المسجد توجد لدى أغلب الطوائف الإسلامية مسميات لمباني دينية مختلفة تؤدي فيها طقوس وشعائر مختلفة، بالإضافة إلى الصلاة اليومية فيها، وهو عادة ما يكون قبراً أو ضريحاً لولي من الأولياء الصالحين، ويختلف الاسم بحسب الطائفة أو المذهب بحسب تعدد الطوائف والمذاهب الإسلامية، بين المذهب السني بطوائفه ومذاهبه مثل المذهب الشافعي والحنفي والطرق الصوفية، وكذلك المذهب الشيعي بطوائفه، كالجعفرية الاثني عشرية، والإسماعيلية والزيدية، وتكاد تتشابه مسميات المباني الدينية مثل (المدرسة) و(الحرم) و(المقام) و(الحضرة) و(الضريح) و(العتبة) و(المشهد) و(التربة). و(التكية). و(المزار). و(القبّة). و(الحوزة) و(الحسينية) و(الخلوة).



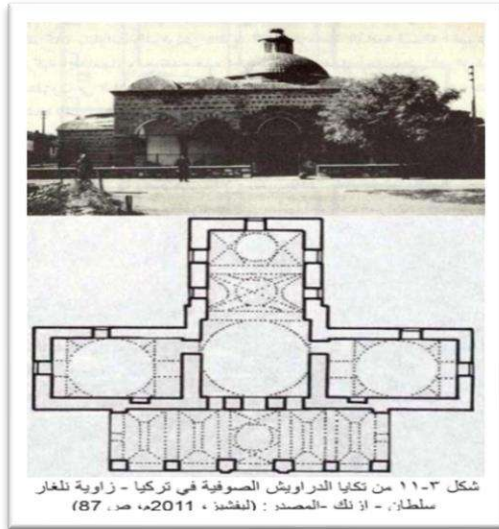
يحلل سورديل – كتسلسل تاريخي - الدواعي التي أدت إلى وجود صيغ معمارية جديدة من المباني الدينية وبيوت العبادة واستحداثها في مبان مستقلة عن المسجد عند المسلمين، فكان التأثير الأكبر مع وجود أبنية صغيرة كانت مشيدة في أفنية المساجد في العصور الأولى للإسلام، والمحاطة بأعمدة والمتوجة بقبة، كانت تستعمل لحفظ الغنائم والموارد الضريبية العائدة للدولة. كذلك المكان الذي كان مخصص في المسجد لجلوس القضاة في قاعة الصلاة أو في ظل رواق، على غرار قراء القرآن ومفسريه ورواة الحديث وأساتذة الفقه، وسواهم من المدرسين.



ويرى سورديل "أن هذه العادات لم تأثر في بداية الأمر على تصميم البناء أو على حجمه، لكنها ساهمت في محافظته على هيئته على مر القرون ومكنته من التوفيق في قلب المدينة، بين دوره كبناء جماعي، ودوره الآخر كمؤسسة ملكية. لكنها أدت بشكل خاص على المدى الطويل إلى اعتماد صيغ معمارية جديدة وفقاً لتشتت أو لتجمع الوظائف التي كان يؤديها المسجد، وقد اختلفت هذه مع الحقب التاريخية المتتالية. كما أدت ضرورات المهمات التدريسية في بادئ الأمر، بعد ثلاثة قرون

أو أربعة، إلى إنشاء مؤسسات كالكليات والمدارس" (سورديل، ٢٠٠٩م، ص ٨٩٥).

كان التعليم والمدارس (الكليات) والمباني التي اتخذت لهذا الغرض، السمة الأبرز التي ارتبطت ببيوت العبادة حيث "اتخذ المعلمون لهم زوايا في المساجد أو غرفاً ملتصقة بها لتعليم الأطفال، وبجانب الكليات التي اتخذت بالمسجد أو التصقت به نجد كليات أخرى قامت مستقلة تمام الاستقلال" (شليبي، ١٩٧٨م، ص ٥٤). ويسود بعض اللبس بداية تأسيس المدارس الدينية وأن هناك "خلط بين موضوع الكليات وموضوع المدارس وهو خلط لم يكن ليرتضيه بعض من كتب في موضوع المدارس الدينية" (البهادلي، ١٩٩٣م، ص ٢٨). كذلك هناك تعدد في الآراء حول بداية تأسيس المدارس الدينية في الإسلام. (شكل ٨-٣)



تتداخل بعض المسميات في المباني الدينية، فالخوانق جمع (خانقاه) وهي كلمة معربة من الفارسية (خانقاه) بمعنى رباط الصوفية أو بيت الدراويش، كانت الخانقاه عبارة عن بناء لإقامة الشعائر الدينية من الصلاة



شكل ١٥٠٣ الحوزة العلمية بالنجف الأشرف - المصدر: موقع الحوزة <https://www.alhawzanews.com>

والصوم والتهدج والتأمل والذكر وتلاوة الأوراد ونحو ذلك (رزق، ٢٠٠٠م، ص ٩٣)، والزاوية هي "عند المتصوفة موضع معد للعبادة والإيواء وإطعام الواردين والقاصدين، وتعرف بأنها مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة تشبه كثيرا الدير المسيحية في القرون الوسطى وهي، بهذه النعوت، أشبه ما تكون بالخوانق أو الخانقات في المشرق. وكثيراً ما يتداخل مدلول اصطلاح ومضمون (الزاوية) مع اصطلاح

(الرباط) لتقاطع وتداخل أدوارهما الجهادية والتعبدية والإيوائية. كما كانت الزاوية عبارة مدرسة قرآنية بلسان المغرب الإسلامي وغرب أفريقيا، عادة ما يكون فيها بركة صغيرة ونافورة ماء. وكانت هذه المدارس هي أحد أهم سبل تعليم الأمور الدينية وبعض العلوم الأدبية التي تنتشر في المغرب العربي، ويتم التعليم فيها بطريقة القراءة على الشيخ. وترتبط بالصوفية في الكثير من الأحيان" (قليبو، ٢٠١٩م، ص ١١٦).

ويرجع عبد الله كامل موسى أصل الأربطة أنها "كانت منشآت دينية وعسكرية يقيم بها المرابطون أو المحاربون للتعبد والاستعداد للجهاد والتربص لأعداء الإسلام الذي يغيرون على بلادهم، ومع التطور الزمني صار الرباط مجرد مأوى يقيم به المنقطعون للعبادة، وكانت الأربطة تشيد في الثغور على حدود الدولة الإسلامية للحماية" (موسى، ٢٠٠٨م، ص ١٦).

يورد راي몬드 ليفشيز تفاصيل أكثر حول مصطلح (تكية) جمعها تكايا والتي عرفت بهذا الاسم عند الطرق الصوفية وهو مصطلح يتوافق مع (الزوايا) أو (الخانقات)، "وذلك حسب المنطقة الموجودة فيها، ولكل تكية معتقداتها وممارساتها، ولكن يبقى شيخ التكية المحور والرمز الذي تدور حوله التكية، وتضم التكية بشكل دائم أو مؤقت عائلة الشيخ وأتباعه، وكذلك المريدين بل وحتى الحجاج أحياناً أو عابري السبيل، وهناك أيضاً رفات الشيوخ السابقين أو الأولياء الصالحين الذين يتقرب منهم الناس بالصلاة والتهبات التي يتركونها في التكية" (ليفشيز، ٢٠١١م، ص ١٩). (شكل ٣-١١)

أخذت المباني الدينية وبيوت العبادة الخاصة بالشيعة تنمو وتتطور أكثر مع في ظل وجود حكومات ودول شيعية أخذت على عاتقها الاهتمام بالمذهب الشيعي ونشره والتعريف به، وهو ما أشارت إليه سعاد ماهر في

عصور سابقة، من أن الشيعة هم أول من أنشأ العنابر الثقافية التي كانت تعرف من قبل باسم (دار العلم)، كما أنهم أول من أطلق عليها اسم مدرسة، والغرض من انشائها هو تدريس ونشر المذهب الشيعي، وكان ذلك في القرن الرابع الهجري إبان حكم محمود الغزنوي (محمد، ١٩٧١م، ص ٢٠).

وكانت الخطوة الأبرز في هذا المجال وجود المدارس الدينية التي تدرس العلوم الدينية على المذهب الشيعي الجعفري وهو ما عرف ب (الحوزة) جمعها (حوزات) والتي تأسست في أغلب المدن والمراكز الدينية عند الشيعة مثل مدينة النجف وكربلاء في العراق، ومدينة قم ومشهد في طهران، وفي دمشق ولبنان وفي الخليج، فكانت هناك حوزات عملية في الأحساء والبحرين والقطيف.

ويورد علي البهادلي عدة تعريفات للحوزة العلمية، منها ما أخذه عن الشيخ حسن طراد من أن "الحوزة اصطلاح حديث يراد به المؤسسة العلمية التي تقام لغاية الدراسات العلمية الشرعية، التي تمكن الطالب من معرفة الأحكام الشرعية في مختلف مجالات حياته العلمية. ولا يبعد أن يكون المعنى مأخوذاً من المدلول اللغوي وهو (الحَوْز) وكأنه مكان معنوي يحوز مجموعة من الطلاب" (البهادلي، ١٩٩٣م، ص ٨٧)، وبعد أن يورد البهادلي عدة تعريفات للحوزة العلمية ويتناولها بالنقد، يضع تعريف أشمل حسب رأيه من أن الحوزة العلمية "كيان علمي وبشري يؤهل للاجتهد في علوم الشريعة، ويتحمل مسؤولية تبليغ الأمة، وقيادتها (البهادلي، ١٩٩٣م، ص ٩٤). (شكل ٣-١٥)

يعود تاريخ ظهور الحوزة العلمية إلى حسب رأي عدنان آل قاسم في (تاريخ الحوزات العلمية والمدارس الدينية عند الشيعة الإمامية) إلى عصر فجر الإسلام الأول، حيث كانت حلقات الدروس تعقد في بيت رسول الله (ص) وفي بعض بيوت الصحابة، ثم في المسجد النبوي الشريف بعد هجرة النبي. إلا أن بعض الباحثين يرى أن أول حوزة علمية في تاريخ المسلمين هي حوزة الكوفة التي أنشأها الإمام الصادق (ع) والتي كانت تضم أربعة آلاف طالب (آل قاسم، ٢٠١٦م، ص ٣٠). ويعزي علي أحمد البهادلي إلى بقاء الحوزات العلمية الشيعية وازدهارها بسبب وجود النوابع من العلماء والشخصيات العملية، ويضرب البهادلي مثلاً لحوزة النجف العملية التي ازدهرت فيها حلقات الدرس والتدريس بفضل شخصية الشيخ الطوسي (البهادلي، ١٩٩٣م، ص ٩٨).

الجانب المهم الذي يرتبط بالجانب الديني والعبادي أن ظهور الحوزات العلمية وازدهارها في العالم الإسلامي كان ارتباطها في الغالب بمجاورة الأضرحة وقبور الأئمة والأولياء، مثل الحوزة العلمية في مدينة النجف بجوار ضريح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، والحوزة العلمية في مدينة كربلاء بجوار ضريح الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب، والحوزة العلمية في مدينة قم بإيران بجوار ضريح السيدة فاطمة أخت الإمام

علي بن موسى الرضا (ع) ولعل السبب الأبرز حسب رأي علي البهادلي هو ما يصاحب وجود قبر معصوم أو ولي من زيارات الناس وترددهم عليه، وحبس الأوقاف على المرقد وعلى المحتاجين المجاورين له، وسهولة الاتصال بزوار تلك الأضرحة ووعظهم وإرشادهم وبالتالي توجيههم (البهادلي، ١٩٩٣م، ص ٩٦).

الحسينية:

عرفت لدى الشيعة الإمامية الحسينيات مفردتها (حسينية)، وهو المصطلح الذي تدور حوله أغلب جوانب هذه الدراسة، حيث يرجح بعض الباحثين أن الحسينية نشأت بداية في المدن الدينية المقدسة لدى الشيعة نتيجة حاجة ضرورية برزت مع تزايد الزوار الشيعة للمراقد والعتبات المقدسة وحاجتهم لأماكن إقامة. "تطورت فيما بعد لتصبح مبان دينية لإقامة الشعائر الدينية والتي عرفت ب (الحسينية)، وهو ما ذكره عماد عبد رؤوف في بحثه (تاريخ الوقف على التعزية الحسينية وإنشاء الحسينيات) ومع مرور الوقت وجد أهل الخير أن من المفيد الاستعاضة عن الاستئجار المؤقت، أو الدائم، للدور المذكورة، بشرائها أو إنشائها، ووقفها لزوار تلك العتبات وبخاصة مدينة كربلاء المقدسة، وقام بعض الموسرين فيما بعد بتحويل شطراً من دورهم، وهو الذي يُعرف بالديوان، أو بالديوانخانه، أي القسم المخصص لاستقبال الرجال في الدار، إلى مجلس خاص بالتعزية، فأدى هذا إلى أن ينقلب هذا القسم إلى دور حسينية" (رؤوف، ٢٠١٧م، ص ١٤).

ومن الجانب المعماري للحسينية، يركز عماد رؤوف على التدرج الوظيفي للفراغات الداخلية لها، حيث "كان من الطبيعي أن يُرى في تلك الدور من التحويل والتغيير ما هو ضروري لأداء وظيفتها الجديدة، من ذلك مثلاً أن إقامة العدد الغفير من الزوار في دار واحدة كان يقتضي إنشاء مصلى واسع لهم، وأماكن للوضوء ومواقع اغتسال كافية، وباحات تتسع لإقامة مجالس العزاء. ومن ناحية أخرى تنوعت شروط الواقفين بين تحديد مدة إقامة النازلين في حسينياتهم بأيام معدودة، أو بأيام المناسبات كلها، أو أكثر من ذلك، وهكذا بدأت هذه الدور تتخذ شكل مؤسسات جديدة تستجيب لوظائف متنوعة وإن كانت غايتها الأساس هي تيسير إقامة أولئك الزوار الذين كانوا يقصدون التبرك بسيد الشهداء، مما أدى إلى أن تعرف تلك الدور بالدور الحسينية نسبة إلى الغاية من إنشائها (رؤوف، ٢٠١٧م، ص ١٤). ثم أنها عُرفت بالحسينية مطلقاً، وصارت مؤثلاً لتقديم أنواع من الخدمات الروحية والفندقية معاً. وفي النصف الأول من القرن العشرين، صارت هذه المؤسسات الجديدة تقدم خدمات لم تعرف بها من قبل، مثل وقف بعض المثقفين مكتباتهم عليها، وتخصيص أماكن مناسبة للمطالعة، وإلقاء المحاضرات، وتدريب طلبة العلوم الدينية، هذا عدا الخدمات الاجتماعية المعتادة الأخرى. وحرّص الواقفون على أن تواكب الحسينيات تطور عصرها من حيث تزويدها بالأجهزة العصرية (رؤوف، ٢٠١٧م، ص ١٤).

ومنذ ستينيات القرن الماضي أصبح بعض تلك الحسينيات مجالاً مناسباً لإقامة ندوات حاشدة، ومحاضرات عامة، يحضرها جمهور واسع من الناس، وتطرح فيها مواقف سياسية أو اجتماعية، ووسعت مواضع الصلاة فيها حتى باتت تشكل مساجد مستقلة، فضلاً عما عُرفت به من المهام التي أشرنا إليها من قبل (رؤوف، ٢٠١٧م، ص ١٤).

من تاريخ الأحساء:

الشيعة في الأحساء والمنطقة الشرقية:

على الرغم من عدم وجود تاريخ أو تحديد دقيق لوجود التشيع في الأحساء - وهذه إشكالية تتسحب على تاريخ التشيع في الأحساء - وهو الأمر الذي يرتبط في الأساس بتاريخ التشيع في الإسلام بشكل عام - إلا أنه جذور التشيع قديمة في الأحساء على أساس التوجه الذي يدعم أن التشيع مرتبط باتباع الإمام علي (ع)^١. ويذهب بعض المؤرخين الشيعة بأن التشيع في بلاد البحرين كان أقدم مما يظن، وأنه يرجع إلى عهد الرسول (ص) (المسلم، ١٩٦٣م، ص ٩٥). حيث يرى الشيعة أن التشيع كان معروفاً في عهد الرسول الأكرم (ص) وأن العديد من الصحابة عرفوا بموالاتهم للإمام علي، ويعتقدون أن أول من بذر بذور التشيع فيما عرف قديماً بمنطقة البحرين والتي تشمل (أوال والخط وهجر، والمعروفة اليوم باسم البحرين والقطيف والأحساء على التوالي) هو الصحابي الجليل أبان بن سعيد بن العاص، الذي ولّاه رسول الله (ص) على البحرين مسئولاً عن بيت المال، وكان أبان من الموالين للإمام علي، فغرس بذور التشيع في المنطقة (الحسن، ١٩٩٣م، ص ١٦). ويرى الباحث أن تاريخ التشيع والمذهب الشيعي بشكل عام في الأحساء تأثر كثيراً بتهمة نسبته إلى الفكر القرمطي، فالقرامطة حركة سياسية مرت بتاريخ المنطقة مثلها مثل العديد من الحكومات التي سيطرت على المنطقة، لكنها استغلت انتشار التشيع بشكل واسع في الأحساء لتنفيذ طموحها، وانتهى القرامطة وفكرهم بنهاية دولتهم، ولم يبق لهم أثر، ولو كان للفكر القرمطي وجود أو امتداد كما يدعي البعض، لوجدنا في الأحساء فرق شيعية من غير الإمامية الاثني عشرية مثل الإسماعيلية، وهو ما لم يكن موجود. وهو ما يؤكد محمد سعيد المسلم الذي يدحض فكرة استمرار وجود القرامطة بعد زوال دولتهم، أو تلك الظنون التي تذهب إلى أن البذرة الأولى للشيعة تكونت منذ عهد القرامطة الذين ينتسبون للمذهب الإسماعيلي، ثم تطور بعدهم بحكم رد الفعل الذي نشأ من سوء تصرفاتهم وأعمالهم، أي أنهم نبذوا المذهب الإسماعيلي واعتنقوا أخيراً المذهب الجعفري، والواقع أن هذه المزاعم مجرد فرضيات لا تستند على أسس صحيحة نابعة من مصادر

^١ . يمكن أن نجد بعض الاختلاف لصيغ الفناء التي يطلقها الشيعة على أهل البيت، عن الصيغ التي يطلقها إخوانهم أهل السنة، فنجد الشيعة يرون إطلاق مصطلحات مثل (عليه السلام) بعد ذكر أو كتابة اسم الإمام المعصوم، بينما يجيز أهل السنة مصطلح (رضي الله عنه) لأهل البيت، وقد خص أهل السنة مصطلح (كرم الله وجهه) للإمام علي بن أبي طالب لأنه لم يسجد لصنم قط.

تاريخية، وإذا تتبعنا الأحداث التاريخية وملابساتها، نجد الأدلة تسعفنا بنتائج صحيحة على العكس من هذه الظنون، أنها تقودنا إلى الاعتقاد بأن التشيع على شكله الحالي كان أقدم من عهد القرامطة بزمن طويل." فالرواية التاريخية التي تسرد قصة القرامطة بالبحرين بإجماع المؤرخين، على أنهم استغلوا انتماء أهل المنطقة للتشيع لتنفيذ مخططاتهم، وهذه القرائن تسوقنا إلى الدليل على أن سكان هذه المنطقة كانوا من الشيعة الإمامية، وأنهم انخدعوا بأضاليل القرامطة في أول الأمر، ثم انكشف لهم أخيراً، والدليل الآخر أننا لم نجد في بلاد البحرين قاطبة أي منتسب للمذهب الإسماعيلي" (المسلم، ١٩٦٣م، ص ٩٣).

محافظة الأحساء:

تتبع محافظة الأحساء اليوم إمارة المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية، تشمل محافظة الأحساء في الوقت الحاضر ٤١ قرية و ٣٢ هجرة وخمس مدن (الطاهر، ٢٠٠٨م، ص ٢)، تمتد أراضي الأحساء ما بين دائرتي عرض ٣٠° ٢٢' و ٤٥° ٢٥' شمالاً، وخطي الطول ٥١° ٤٥' و ٥٠° ٠٠' شرقاً، وتقدر مساحة محافظة الأحساء بحوالي ٥٦٠,٠٠٠ كيلومتر مربع، أي ربع مساحة المملكة تقريباً، مشتملة على



واحة الأحساء وواحة ببيرين والجزء الجنوبي من وادي المياه وحرص وخريص والحني والغوار وشيبة والربع الخالي، أما عدد سكان الأحساء فقد تضاعف خلال العقود الماضية من ٢٤٤,٤٢٢ نسمة في سنة ١٣٩٤هـ، إلى أكثر من ثلاثة أضعاف (٧٤٥,٧٢٥) نسمة في سنة ١٤١٣هـ، بينما وصل عدد سكان المحافظة في سنة ١٤٢٥هـ إلى حوالي ٩٠٨,٣٦٦ نسمة (الطاهر، ٢٠٠٨م، ص ٣)، أما آخر



إحصاء فكان عدد السكان في الأحساء ١,١٥٠,٠٠٠ نسمة . وأصبحت اليوم مدينة الهفوف والمبرز ضمن أكبر ١٠ مدن على مستوى المملكة (الملحم، د.ت، ص ٢١). (شكل ٢-٤)

مدينة الهفوف:

القفوف هي العاصمة الإدارية للأحساء وتقع في الركن الجنوبي الغربي لواحة الأحساء على طريق القوافل بين ميناء العقير على



ساحل الخليج العربي ووسط الجزيرة، وتبعد عن الميناء حوالي سبعين كيلو متراً باتجاه الجنوب الغربي، وبارتفاع مائة وخمسون متراً عن سطح البحر، وإلى وقت قريب تعد الهوف من أكبر المدن في شبه الجزيرة العربية وأكثرها كثافة سكانية وأكبر مدينة على الجزء الشرقي، إضافة لأهميتها من الناحية الاقتصادية والإدارية (الشايب، أكتوبر ٢٠٠٣م). (شكل ٤-٣)

مدينة المبرز:



تبعد مدينة المبرز عن مدينة الهوف حوالي ميلين، وهي ثاني مدن الأحساء، وقد بلغت أوج ازدهارها حين اتخذها براك بن عريعر مؤسس دولة بني خالد مقراً لكرسي حكمه فور استيلائه على مقاليد السلطة من العثمانيين سنة ١٠٨١هـ (الملا، ١٩٩١م، ص ٢٤٦). (شكل ٤-٤)

أما اليوم فلا يوجد فاصل بين مدينتي الهوف والمبرز فقد امتدت الأحياء والمناطق السكنية لتلغي المساحة المفتوحة التي كانت بين المدينتين.

القرى والأرياف:

إذا كانت العديد من المدن التاريخية العربية تأخذ القرى والمناطق المحيطة بها أهمية تاريخية واقتصادية ثانوية،

فالصورة تبدو مختلفة في الأحساء، إذ يبدو أن الهوف والمبرز كانت تعتمد على القرى المحيطة بها بشكل رئيس، وتاريخ المنطقة انتقل إليها من القرى، فكل الدلائل تشير إلا أن المُشَقَّر وجواثى والمؤمنية قامت في المناطق التي باتت بعد ذلك تنعت بأنها قروية، كما أن الهوف بشكلها الحالي تبدو معزولة، فالعديد من قرى الأحساء نشأت فيها في فترة من الفترات الزمنية مجتمعات مدنية متطورة كالبطالية والمنيزلة والجبيل والعيون.

وتنقسم قرى الأحساء إلى القرى الشمالية، ومنها العيون والمراح والمطيرفي وجبيلة والقرين والجرن والشعبة والشقيب، والقرى الشرقية منها بني معن والشهارين والمنصورة والبطالية والقارة والتويثير والطربيل والكلابية والمقدام والمزاوي والعقار والمركز والتيمية والجبيل والمنيزلة والحشة والجفر والفضول والخليعة والدالوه والعمران والرميلة والحوطة والسيابرة.

الأحساء في العهد السعودي (المملكة العربية السعودية):

لقد كانت السنوات التي سبقت سيطرت جلالة المغفور له الملك عبد العزيز على الأحساء من أشد الأيام عتمة في تاريخها، ويعلل المؤرخ عبدالرحمن الملا ذلك بسبب ضعف الحكم العثماني، "فقد سادت الفوضى واضطرب الأمن وانتشر قطاع الطرق واستشرى العبث في الهفوف والمبرز وما حولها، وكذلك القطيف، فتعطلت التجارة وأهملت الزراعة ومنيت الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالشلل" (الملا، ١٩٩١م، ص ٣٥٥)، وكانت رغبة الأهالي في الأحساء رفض المستعمر البريطاني والذي طالما أرسل مستكشفين على شكل أطباء للتواصل مع الأهالي وكذلك إشعارهم بارتفاع الضرائب مع إنهاك قوى الدولة العثمانية، مما دعى الملك عبد العزيز إلى ضم هذا الجزء للدولة السعودية في طورها الثالث وتمكن من اختراق أسوار الكوت بمدينة الهفوف عام (١٩١٣م - ١٣٣١هـ) - وأعلن انضمامها تحت لوائه ومكن الحامية التركية من السفر عبر ميناء العقير ومن ثم أرسل الوجهاء من أهالي الأحساء إلى وجهاء القطيف بالأمر ودخلوا تحت إمرته.

ويعتبر إقليم الأحساء كما كان يعرف شرق الجزيرة في حينه من أهم الأقاليم في المملكة في عهد الملك عبد



العزیز فيما بعد، حسب رأي محمد عرابي نخلة، "ولم يكن الأمير السعودي وهو يصر على استعادة الأحساء يعلم بأنه يجاهد في سبيل امتلاك أكبر إمبراطورية للنفط في الشرق الوسط، ولكنه كان يؤمن بأن الأحساء كما كانت قديماً ولا تزال نافذة بلاده على الخليج والعالم الخارجي، بالإضافة إلى مالها من أهمية اقتصادية واستراتيجية" (نخلة، ١٩٨٠م، ص ٢٣٥).

مجتمع الأحساء:

في دراسة لمجتمع كبير كالأحساء كان له دور ريادي ومؤثر في الخليج والجزيرة العربية؛ لا بد من التعرض لبعض الجوانب الاجتماعية الأنثروبولوجية للوقوف عند نقاط أساسية المرتبطة بطبيعة السكان وثقافته ونشاطه، وبحث بعض المؤثرات والمتغيرات التي طالت تاريخه الاجتماعي، فهي تقيدنا في فهم طبيعة المجتمع، منها ما يتعلق بالتوزيع الديموغرافي للسكان، وتركيبية أفرادها وقبائله، وبيان مظاهر الاختلاف بين مجتمع المدينة والريف أو القرية وكذلك البادية. (شكل ١-٥)

يرى الباحث أنه يمكن تحديد ملامح بعض المحطات التاريخية التي حدثت فيها مستجدات غيرت العديد من بعض المفاهيم والسلوكيات الاجتماعية، ومن أبرزها في الأحساء والخليج عموماً هي فترة ما قبل النفط وما

بعده، وما أحدثه ذلك من تغيرات اجتماعية واقتصادية، أثرت بشكل مباشر في النظام الاجتماعي والتركيبية السكانية وطرق المعيشة ونشاط السكان وأعمالهم وتنقلات السكان ما بين القرية والمدينة، أو الانتقال لمدن أخرى. في بيئة تقليدية كان المجتمع في معظم فئاته يعتمد على الإنتاج المحلي كالإنتاج الزراعي والحرفي للصناعات المحلية المختلفة، وتحوله إلى مجتمع مستهلك يعتمد في جزء كبير من حياته على الإنتاج المستورد، ويستقطب طبقة عاملة من جنسيات مختلفة بدأت تخطط له شكل منزله والمناطق الحضرية التي يعيش فيها، مصحوبة بقوانين وضعتها الجهات المسؤولة لتنظيم المجتمع والبلديات وتتدخل في شكل المبنى وطرق البناء ومواده، بعد أن كانت الأساليب والنظم التقليدية هي السائدة.

المعتقدات الدينية عند المسلمين الشيعة في الأحساء:

عند البحث في المعتقدات الدينية لدى مختلف الشعوب، يظهر أن ثمة حلقات ترابط واتصال لا يمكن تجاهلها بين ديانة وأخرى، ومعتقد وآخر، ابتداءً بعقيدة الإنسان بالألوهية ووجود الخالق والعبودية له التي أكدت عليها الأديان السماوية، آمن بها الإنسان منذ القدم، فقد لعبت فكرة الألوهية دوراً كبيراً في توازن الإنسان مع الطبيعة والكون حسب رأي خزل الماجدي، "إذ كيف يمكن له تصور كل هذا الذي حوله دون أن تكون الألوهية هي الحاجز بينه وبين الكون الرهيب اللامتناهي، وبدون فكرة الألوهية كان الإنسان سينضغط وينحصر ويتشتم عندما يواجه الكون مباشرة" (الماجدي، ١٩٩٨م، ص ٢٥١)، ويذكر الماجدي أن الأساطير السومرية عرفتنا على بعض عقائدهم وهي "أن الإنسان خلق من قبل الآلهة لكي يقوم عنها بالأعمال الشاقة ولكي يخدمها ويكون عبداً لها" (الماجدي، ١٩٩٨م، ص ٢٦٥)

وقد ورد في كتاب ولتر ستيس (الزمان والأزل - مقال في فلسفة الدين) "إذا رحنا نتقصى أمر الصوفية في الإسلام رأينا ثروة من الفكر لا تقل إن لم تزد على ما وجد عند البراهمة والبوذيين وعند المتصوفة المسيحيين. وقد عرف العرب مذاهب الهند، ونقلها البيروني في كتابه (تحقيق ما للهند من مقولة) حيث يقول: "فأورد كلام الهند على وجهه، وأضيف إليه ما لليونانيين من مثله لتعريف المقاربة بينهم. فإن فلاسفتهم، وإن تحروا التحقيق، فإنهم لم يخرجوا فيما اتصل بعوامهم عن رموز نحلثهم ومواضع ناموسهم. ولا أذكر مع كلامهم غيرهم، إلا أن يكون للصوفية أو لأحد أصناف النصارى لتقارب الأمر بين جميعهم في الحلول والاتحاد..." فالتصوف ظاهرة عامة ليست مقصورة على الهند أو عند المسيحيين فقط، بل إنه طريق يسلكه بعض الناس ممن يأنس في نفسه الصفاء الذي يجلو مرآة النفس فيرى الله رأي العين، ويشاهده (ستيس، ٢٠١٢م، ص ٢٦). والغاية من التصوف الإسلامي معرفة الله. ويسمون هذه المعرفة علم (الأحوال) أي

الحالات النفسية التي تعتر بهم بعد أن يترقوا من الأحكام الشرعية والعمل بالعبادات التي أمر بها الله (ستيس، ٢٠١٢م، ص ٢٧).

ترتبط المعتقدات الدينية لدى الشيعة في الأحساء بالمعتقدات الدينية الإسلامية بشكل عام، مع مالها من خصوصية في إطار المذهب الشيعي، فالمعتقدات الدينية لدى الشيعة في الأحساء تندرج بشكل أساس في سياق المذهب الأصولي الجعفري الاثنا عشري، ومن بين كل الطوائف المعروفة لدى الشيعة كالزيدية والإسماعيلية وغيرها، لا يوجد في الأحساء إلا عقيدة شيعية واحدة هي عقيدة المذهب الاثنا عشري ينتمي إليها الشيعة في مجتمع الأحساء في مدنه وقراه.

يلخص الميرزا علي الحائري الأحقائي المعتقدات الدينية لدى الشيعة في كتابه (عقيدة الشيعة) - وقد كان من مراجع التقليد لشريحة كبيرة من شيعة الأحساء - "نعقد إن الله تعالى واحد في ذاته، ليس له ثاني ولا شريك في ذاته، وفي وجوده وقدمه ووجوده، قال تعالى: (وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإَيُّ فَارَهُبُونَ) سورة النحل، آية (٥١) إنا نوحده تعالى في صفاته، أي أنه لا شريك له في ذاته، كذلك لا شريك له في صفاته، من العلم والحياة والقدرة والسمع والبصر والعدل، وجميع صفاته الذاتية، فهو العليم لا عليم غيره، وهو الحي لا حي غيره، وهو القدير لا قدير غيره، وهكذا باقي الصفات الذاتية، قال تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) سورة الشورى، آية (١١). ومن اعتقد أن محمداً وعلياً أو الأئمة المعصومين عليهم السلام كلهم جميعاً أو كل واحد منهم يخلقون أو يرزقون أو يحيون أو يميتون، بالاستقلال عن بارئهم أو



شكل ٥-١٤ الشعائر الدينية في الأحساء - تصوير الباحث

بالشراكة معه، أو بالتفويض إليهم، كتفويض الموكل أمره إلى وكيله، فقد كفر وخرج عن الدين. وليس له في الإسلام حظ ولا نصيب. وهو في النار من الخالدين" (الإحقائي، ١٣٧٤هـ، ص ٦ - ١٠).

الشعائر والطقوس والممارسات الدينية عند المسلمين الشيعة في الأحساء:

جاء ذكر الشعائر في عدة آيات في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: (ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ

تَقْوَى الْقُلُوبِ) سورة الحج، آية (٣٢)، هذه الآية من جملة الأدلة التي يعتمدها الشيعة الإمامية كمستند على الأساس الذي اعتمده الفقهاء في مشروعية الشعائر التي يمارسها الشيعة ورجحانها، حيث يحتل موضوع الشعائر الحسينية حيزاً مهماً في كلمات فقهاء الشيعة الإمامية. وتتنوع صور تلك الشعائر من البكاء ولبس

السواد وغير ذلك من صور التعبير عن مقتل سبط رسول الله (ص). والشعيرة والشعارة والمشعر كالشعار، قال اللحياني: شعائر الحج مناسكه، واحدها شعيرة، والمشعر المَعْلَم والمُتَعَبَد من متعبداته" (ابن منظور، ١٩٨١م، ص ٢٢٧٧) وقد اختلف المفسرون في المراد من الشعائر في الآية المباركة، قال الطبرسي في تفسير الآية: (ومن يعظم شعائر الله) أي معالم دين الله والأعلام التي نصبها لطاعته. (شكل ٥-١٤) يرى السيد منير الخباز أن الشعائر تنقسم إلى قسمين: شعائر ثابتة، وشعائر متغيرة، والمقصود بالشعائر الثابتة الشعائر التي وردت فيها نصوص عن أهل البيت، كشعيرة البكاء مثلاً، "حيث ورد عن الإمام الصادق: (من ذُكرنا عنده فسال من عينه مقدار جناح ذبابة غفر الله له ذنوبه)، وكذلك شعيرة إقامة المأتم على الحسين، حيث ورد عن الإمام الباقر (ع): (يا فضيل، أجلسون وتحدثون؟ قلت: بلى سيدي، قال: إني أحب تلك المجالس، فأحيوا فيها أمرنا)، وكذلك شعيرة زيارة الحسين، فقد وردت فيها روايات متظافرة، كالرواية الصادقية: (من زار الحسين كان كمن زار الله في عرشه)، وكذلك شعيرة اللطم على الصدر، حيث ورد في الرواية أن الحسين لما قتل ندين أهل البيت ولطمن بمرأى ومسمع من الإمام زين العابدين، ولذلك صارت شعيرة اللطم شعيرة واردة، فهذه الشعائر ثابتة لا تقبل التغيير؛ لأنها وردت في النصوص" (الخباز، محاضرة، فبراير ٢٠٠٥م).

المعتقدات الدينية وصلتها بالشعائر الحسينية:

ومن أهم المعتقدات لدى شيعة الأحساء هو ارتباطهم بالشعائر الدينية الحسينية المتعلقة باستشهاد الإمام الحسين (ع) في كربلاء، وهو جانب يرتبط بالمواساة للأحداث والمصائب للمظلومية التي مر بها آل البيت، وإظهار الحزن والتعاطف مع قضايا أهل البيت وبخاصة ما حدث في واقعة كربلاء، ويرى صادق المخزومي "أن ما يصدر عن الشيعة من رموز وتقاليد ذات طابع

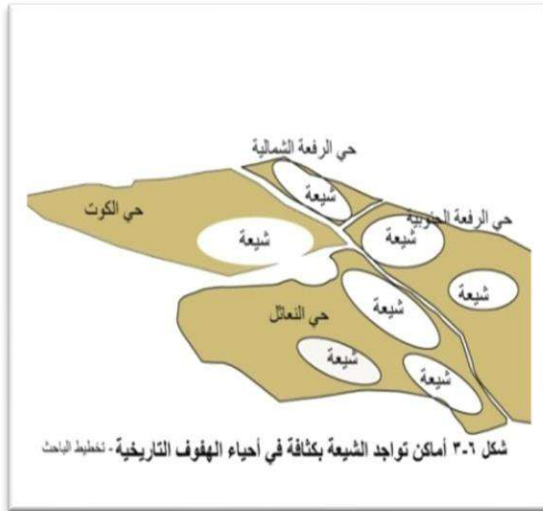


شكل ١٦-٥ مراسم الغزاء والبكاء على الحسين في حنينات الأحساء - حنينة الزهراء - تصوير الباحث

ديني، أو ميثولوجي، تدور بها عجلة التاريخ فيما يحفّ بحادثة الاستشهاد المأساوية، وإبان مسيرة الزيارة ومراسيم الغزاء" (المخزومي، ٢٠١٨م، ص ١١)، حيث يعتقد الشيعة أن واقعة كربلاء واستشهاد الإمام الحسين فيها لم تكن مثل أي معركة مرت في التاريخ الإسلامي، أو أنها مجرد معركة أو مواجهة عسكرية بين جيش يزيد والإمام الحسين، انتهت بمقتل الإمام الحسين، وإنما يعتقد الشيعة في الأحساء وهم ما عليه

الشيعة بشكل عام، أن واقعة كربلاء تمثل نهضة ورمز للحرية والدفاع عن الحق ورفض الظلم والوقوف في وجه الظالم، وبأنها حادثة أخبر عنها النبي محمد (ص)، وأن هناك أدلة تدل على الإخبار بفاجعة كربلاء قبل حدوثها، وقد أخبر بها النبي محمد (ص) حيث يذكر السيد محمد سعيد الحكيم أن "ذلك قد شاع وعرف بين الناس قبل حصوله. فقد روي أن رسول الله خطب في المسلمين، وأخبرهم بقتل الحسين فضجّ الناس بالبكاء، فقال : (أتبكون ولا تتصرونه)" (الحكيم، ٢٠١٠م، ص ١٦). (شكل ٥-١٦)

وفي اعتقاد الشيعة أن إخبار النبي (ص) وأهل البيت لم يقتصر على الإخبار بأصل الحدث، بل أضافوا عليها بعض التفاصيل، والتي يجملها السيد محمد سعيد الحكيم في أمرين التوزيع الجغرافي للأماكن والمباني الدينية وبيوت العبادة عند الشيعة:



بعطي التوزيع الجغرافي للأماكن والمباني الدينية وبيوت العبادة في الأحساء صورة واضحة عن أهمية تلك المباني وتاريخها العريق، إذ يمكن من التوزيع الجغرافي لتلك المباني الاستدلال على عدة جوانب تاريخية حتى مع إشارتنا لتغير عمارة أكثر تلك المباني إلى النمط الحديث، لأن أغلب تلك المباني تم تجديدها في نفس منطقتها وموقعها الجغرافي، بمعنى أنها ظلت محافظة على موقعها القديم، وهو ما يساعدنا على التعرف على خارطة المباني الدينية ودور العبادة وتوزيع

الأماكن المقدسة فيها، لأن ذلك يعزز من قيمه الدراسة وأهميتها، وهو الأمر الذي دفع الباحث للتعرض وسرد



أهم الأماكن والمباني الدينية. فتوزيع الأماكن والمباني الدينية المقدسة "يظهر بعض العلاقة ببعض الظواهر المصطفاه للأماكن الطبيعية مع أن درجة القداسة في مثل تلك الظواهر تختلف من منطقة إلى أخرى" (سوفير، ١٩٩٠م، ص ٧٩). (شكل ٦-٣)

وهو ما يؤكد على أهمية وجود مركز ديني يعمل كمحور لباقي مكونات المذهب، الأمر الذي تطرقنا إليه في البداية عن أهمية المراكز الدينية لدى مختلف المذاهب والأديان

عبر التاريخ، ودوره في مختلف التطورات الدينية والاجتماعية للمجتمع المحيط به، وحل مختلف المشاكل التي يمر بها المذهب وأتباعه، ويرى ديفد سوفير ضرورة أن نميز بين المراكز الدينية المقدسة والعواصم الدينية، وأن معظم المدن الكبرى التي تعتبر مراكز دينية تظهر أنها مختلفة الوظائف وقد سُنحت لها الفرص لتصبح مختلفة الوظائف لأسباب جغرافية ليس لها علاقة مباشرة بقداستها أو لدورها

الحسينيات (المجالس الحسينية):

تاريخ عمارة الحسينيات والمآتم في الأحساء:

الحسينية جمعها حسينيات، هي أوقاف إسلامية شيعية سميت بذلك نسبة إلى الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (ع)، الهدف من إنشائها إحياء المناسبات الدينية مثل مولد النبي الأكرم (ص) ووفاته، وكذلك مناسبات أهل البيت، إضافة لإقامة المناسبات الاجتماعية مثل حفلات الزواج، كذلك مراسم العزاء للمتوفين من أهالي الحي الذي تقع فيه الحسينية والمعروفة محلياً ب

(الفواتح)^٢، وهي بهذا تؤدي أهدافاً دينية واجتماعية في خدمة المجتمع المحلي. ومن الأسماء المعروفة للحسينيات (مجلس حسيني) و (مآتم) وتنطق محلياً (مآتم) بحذف الهمزة للتسهيل. (شكل ٦-٢٦)

إضافة لما عرف للحسينية من دور تعليمي من خلال حلقات التعليم والدروس الدينية التي تعقد في الحسينيات، ولا يقتصر هذا الأمر على الرجال، حتى البنات والنساء يتعلمن في المآتم التي تنعقد يومياً في أحد حسينيات الحي، حيث اهتم بعض المؤمنين بتخصيص يوم في الاسبوع للقراءة أو في المناسبات الدينية وكلها تعمل عمل المدارس. وقد ذكر فيدال في كتابه واحة الأحساء "أن بجانب وجود المساجد المعتادة لأداء الصلاة، يختص الشيعة ببنائات دينية أخرى تسمى حسينية وتكون عادة من ضمن أفضل المنازل، وإن كانت لا تبدو ذات مظاهر



شكل ٦-٢٦: الحسينية الجعفرية بالفريج الشمالي من أمه أمثلة عمارة الحسينيات والمآتم التاريخية في الأحساء - تصوير الباحث



شكل ٦-٢٨: الدور الاجتماعي الذي تقوم به الحسينيات عند الشيعة في الأحساء - حسينية الخل - قرية القارة - تصوير الباحث

^٢ الفواتح جمع (فاتحة) نسبة لسورة الفاتحة في القرآن الكريم المستحب قراءتها وإهداء ثوابها للمتوفي.

معمارية متميزة من الخارج، كما هو موجود في المسجد، وتتمثل مهمة الحسينية في كونها صالة للتجمع الديني، فخلال أيام الذكرى التي يحتفل بها الشيعة يجتمع الرجال في الحسينية خاصة قبل صلاة الظهر، وقبل صلاة المغرب وبعدها من أجل الاستماع إلى أحد مشايخهم الذي يقوم إما بقراءة بعض النصوص الدينية ويروي فيها سيرة الإمام الذي يحتفل بذكراه، أو يلقي محاضرة يعلق فيها على الموضوع نفسه، ويوجد في معظم الحسينيات وجار للقهوة^٢، وتقدم القهوة خلال بعض الاجتماعات، وهكذا أصبحت الحسينية عند شيعة الأحساء في الهفوف والمبرز نوعاً من المنتدى ومكاناً لاجتماع عام للسكان" (فيدال، ١٩٩٠م، ص ٦٠). (شكل ٦-٢٧)

مع ما يقام من شعائر دينية مستمرة في الحسينية وهو الهدف الأساس، تمثل الحسينية المحور الرئيس للتجمع السكني بعد المسجد، ومركز للحي الذي تقع فيه لتجمع السكان في المناسبات الدينية والمناسبات العامة الأخرى، وهي بذلك تكمل دور المسجد من الناحية الاجتماعية، في أوقات مختلفة عن أوقات الصلاة. وقديماً كانت بعض الحسينيات تفتح أبوابها طوال النهار من الصباح إلى المساء (العيثان، ٢٠١٥م، ص ٦٠٢)، خصوصاً الحسينيات الكبيرة الرئيسة، أما في الوقت الحالي فمعظم الحسينيات تفتح أبوابها في الفترة التي يكون فيها قراءة أو مناسبة. مع توفير كافة المرافق والخدمات التي يحتاجها مرتادي هذا المكان.

وتنقسم الحسينيات والمآتم عند الشيعة في الأحساء عادة إلى حسينيات للرجال وأخرى خاصة بالنساء، مع وجود حسينيات للرجال ملحق بها قسم منفصل للنساء، كان الصوت قديماً يصل عبر فتحات الشبابيك المفتوحة على قسم النساء، أما في الوقت الحالي فيصل الصوت عبر مكبرات الصوت. ويمكن إجمال الأهداف التي تقوم بها الحسينية في المجتمع المحلي في هدفين رئيسين:

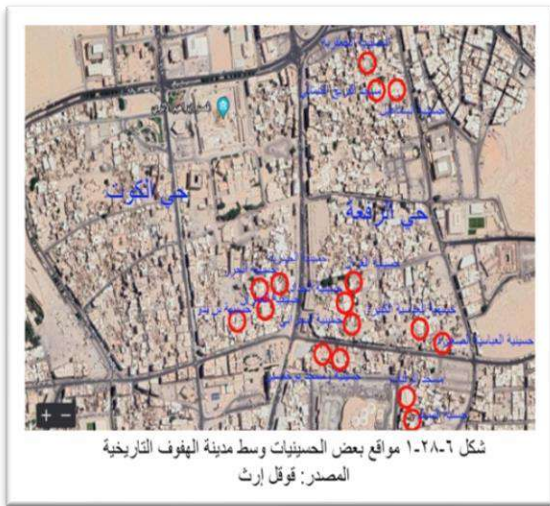
١- هدف ديني:

- إحياء الشعائر والمناسبات الدينية المتعارف عليها عند الشيعة على مدار السنة.

- إقامة الصلاة جماعة أو فرادى، وبخاصة في حالة الحاجة، مثل ترميم مسجد قريب من الحسينية في نفس الحي.

- تلقي التعليم والدروس الدينية.

٢- هدف اجتماعي:

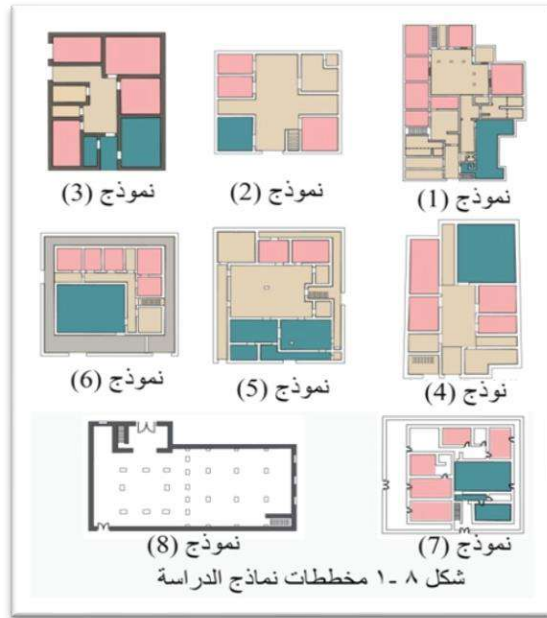


^٢ الوجار: موقد النار والمكان المخصص لإعداد المشروبات الساخنة للحضور، مثل الشاي والقهوة، وهو عنصر معروف أيضاً في البيت الأحسائي، يبنى عادة في مجلس الضيافة.

- إقامة المناسبات الاجتماعية مثل مناسبات الزواج، أو العزاء لأحد المتوفين من أهل الحي.
- دور اجتماعي عام في لقاء الأهالي واجتماعهم في الحي الذي تقع فيه الحسينية، في الأعياد والمناسبات العامة.

- تختص الحسينيات التي شيدها عائلة معينة، بقاء خاص لأفراد العائلة في مناسباتهم. (شكل ٦-٢٨)
غير أن المعارضين يرون فيها غير ذلك، فلقد واجهت الحسينيات أصناف من الاتهامات والنعوت من الفرق المتشددة ووسمها بعدة أوصاف، ويرى عبد العزيز البداح أن هناك أهداف غير معلنة يهدف الشيعة من ورائها للحسينيات منها أن "توسع الشيعة الرافضة في إقامة المآتم والحسينيات أمر مقصود لذاته، وهذا ما أكدت عليه الخطة الخمسية لآيات (قم)^٤ حيث دعت إلى بناء المساجد والحسينيات" (البداح، ٢٠١١م، ص ٧٣). (شكل ٦-٢٨-١)

ويظهر أولئك المعارضون حساسية شديدة بسبب انتشار الحسينيات وكثافة عددها في المجتمعات الشيعية في الأحساء وغيرها، حيث يذكر عبد العزيز البداح أن "البحرين بلغت الرقم القياسي في عدد المآتم عالمياً، فهي أعلى نسبة في العالم" (البداح، ٢٠١١م، ص ٧٣)، إذ يبلغ عدد المآتم والحسينيات في البحرين ٣٥٠٠ حسينية منتشرة في مختلف القرى والمدن، وتلث هذه المآتم له أوقاف مسجلة لدى إدارة الأوقاف الجعفرية، والثلاثان الباقيان تعتمد على أموال المؤسسين والقائمين عليها، ومن التبرعات والنذور التي ترد إليها (البداح، ٢٠١١م، ص ٧٣).



وبما أن الحسينيات كأوقاف دينية تأتي كمساهمة أهلية من المجتمع المحلي، فقد ساهم رجال الدين بالإضافة لبعض الشخصيات البارزة في المجتمع الأحسائي بتأسيس المآتم الحسينية وعمارتها ورعايتها وتحمل الصعاب وحل المشاكل التي تمر بها الحسينيات خلال بعض المراحل.

منهجية الدراسة وإجراءاتها

إجراءات الدراسة وخطواتها الميدانية:

حسب ما مر دراسته من وجود تنوع ديموغرافي في بيئة واحة الأحساء بين المدينة والقرية، وبين الأحياء التاريخية وسط المدينة وبين الأحياء والمخططات الحديثة، حاول

^٤ قم: مدينة في إيران يقع فيها ضريح السيدة فاطمة المعصومة أخت الإمام الرضا بن الإمام موسى، وفيها أكبر الحوزات والمدارس الدينية عند الشيعة.

الباحث من خلال العينات المختارة، التنوع بين مختلف هذه البيئات، والتنوع كذلك فيما يتعلق بالجوانب العمرانية والاجتماعية، من ناحية تاريخ وعمر المبنى والتكوين المعماري ومساحته، وأسلوب تصميمه والمواد المستخدمة في تشييده، كذلك نوع المجلس (للرجال - للنساء) ومستوى العوائل والأسر من الناحية الاجتماعية والاقتصادية، من أجل تكوين صورة شاملة تعزز فرضية البحث والإجابة بشكل وافي عن التساؤلات التي طرحها الباحث في مقدمة الدراسة.

تندرج العينات التي اختارها الباحث ضمن العينات المقصودة (purposive samples) لأنها في نظر الباحث تحقق أهداف الدراسة بشكل أفضل من أنواع العينات الأخرى، فهي مصدر ثري للمعلومات يمكن أن يستفيد منه الباحث في دراسته ويعتمد عليها كأساس متين للتحليل العلمي وتقديم وجهات نظر متخصصة. (شكل ٨-١)

هناك اعتباران أساسيان يتعلقان بتحديد نوع العينة، وهما: المتغيرات المستهدفة بالدراسة، والفروض المطلوب اختبارها أو التساؤلات المطلوب الإجابة عليها، فبالنسبة لما يتعلق بالاعتبار الأول، فإن المتغيرات المطلوب دراستها تتدخل في تحديد نوع العينة، فالدراسة تأخذ في الاعتبار عدة متغيرات، إذ أن مجتمع الدراسة يمتد على رقعة جغرافية واسعة في بيئة اجتماعية خصبة مثل واحة الأحساء، حاول الباحث من خلال دراسة هذه العينات معرفة المتغير الاجتماعي وارتباطه بما يحدث في المسكن من تطور عبر مراحل زمنية مختلفة، في ظل عدة متغيرات منها:

- تغير اقتصادي في مستوى دخل الأسرة.

- وفاة أحد أفراد الأسرة، خصوصاً (الأب - الأم).

- زواج الأبناء والبنات، واستقلالهم في ملاحق أو شقق خاصة.

- انتقال الأولاد إلى مساكن خاصة بهم.

ومن خلال المسح الميداني الذي قام به الباحث في الأحياء التي يسكنها الشيعة، يمكننا تصنيف تلك الأحياء إلى قسمين:

أولاً: الأحياء القديمة:

وهي تختص بالأحياء القديمة التي يقطن فيها الشيعة وتحتل وسط المدن التاريخية في الأحساء مثل مدينة الهفوف ومدينة المبرز، وكذلك القرى القديمة، حيث نجد أن هذا القسم كانت نسبة المساكن التي تحولت إلى مجالس حسينية أكثر، بما يعادل ١٤٪ من مجموع المساكن تقريباً. ويعود السبب لأن أصحاب المساكن قاموا

بتحويل وتكييف المساكن العائدة لهم إلى مآتم حسينية بعد انتقلوا إلى الأحياء والمخططات الجديدة في أنحاء متفرقة من واحة الأحساء.

ثانياً: الأحياء الحديثة:

هذا القسم يختص بالأحياء والمخططات الجديدة التي يقطنها الشيعة في واحة الأحساء والتي انتقل إليها السكان من الأحياء القديمة في وسط مدن وقرى الأحساء التاريخية، والتي يختلف تاريخ نشأتها، فكلما اقتربت تلك الأحياء من وسط المدينة أو القرية كانت أقدم، لذلك فالأحياء الأقدم في هذا القسم يمكن تقدير نسبة المساكن التي تحولت فيه إلى مجلس حسيني ٩٪ تقريباً، أما الأحياء والمخططات الأكثر حداثة فتكون النسبة أقل بما يعادل ٤-٧٪ حسب طبيعة الحي.

وفيما يتعلق بأثر تحويل المسكن أو جزء منه إلى مجلس حسيني، وتأثير ذلك على أفراد الأسرة وتفاعلهم مع هذا الجانب، وهو ما يؤكد عليه الباحث هنا من أثر كبير وواضح وجده الباحث من خلال تفاعل غالبية الأسر في العينات محل الدراسة بشكل كبير مع فكرة تحويل المسكن أو جزء منه إلى مجلس حسيني عن طريق:

- تحمل الأعباء والصعوبات التي قد تنجم عن تحويل المسكن إلى مجلس حسيني.

- المساعدة المادية والعينية عند الحاجة.

- المشاركة في أغلب الأعمال وتقديم الخدمات التي تحتاج إلى مساعدة.

أما بالنسبة لما يخص التغييرات في الديكور الداخلي، فهناك مجموعة من المتغيرات، خصوصاً إذ أخذنا بعين الاعتبار عدة جوانب:

- المستوى الاجتماعي والثقافي للأسرة.

- الموقع الجغرافي للمسكن بين الأحياء القديمة أو الأحياء والمخططات السكنية الحديثة.

- المتغيرات السريعة في أنماط وأشكال الديكور الداخلي.

- التأثير المتبادل لأنماط الديكور المرتبطة بالشعائر الحسينية بين مختلف المناطق التي يتواجد فيها الشيعة.

دراسة عينات البحث المختارة:

مباني قديمة:

نموذج (١) بيت البحراني:

أولاً: اسم العينة: بيت البحراني

ثانياً: الموقع: الأحساء - مدينة الهفوف - حي الرفعة.

ثالثاً: نوع العينة: مبنى سكني.

رابعاً: الوظيفة: سكني + ديني (مجلس حسيني للرجال) بيت سكني تحول إلى وقف.
خامساً: التصميم والمساحة: بناء محلي، تصميم أساتذة البناء في الأحساء، ومساحته ٢٨٠م تقريباً.
سادساً: مواد البناء: مواد تقليدية (طين - حجارة جيرية - جذوع النخيل)، ودخلت عليه بعد ذلك مواد البناء الحديثة.

سابعاً: الفترة التاريخية: تاريخ البناء على مراحل، أقدم بناء كان قبل ١٥٠ سنة تقريباً.
ثامناً: نشأة المبنى وتطوره: بني على طراز البناء التقليدي، بعدها دخلت عليه تطورات حديثة في البناء والخدمات (بناء اسمنتي - كهرباء - ماء).

تاسعاً: التكوين المعماري وأقسام المبنى: ثلاث أدوار، يتكون البيت من قسمين: بيت الأب، وبيت أخته (العمة).

عاشراً: مجتمع العينة: حي سكني تاريخي قديم، يسكنه الشيعة والسنة، مع أغلبية من الشيعة.
احدى عشر: عدد أفراد الأسرة: متغير حسب الفترة التاريخية، في حدود ٢٠ فرد.

اثنا عشر: الوضع الحالي للمبنى: موجود في نفس الموقع، لكنه مهجور وبه انهيارات في أغلب أجزاءه.
نبذة عن المسكن:

يقع بيت البحراني في قلب المنطقة التاريخية وسط مدينة الهفوف، فهو يمثل نموذج واقعي لأسلوب المعيشة في المسكن التقليدي في الأحساء والذي كان سائداً في فترة ما قبل النفط والطفرة الاقتصادية، ويعتبر هذا المسكن من الأمثلة الجميلة للأسرة الكبيرة الممتدة، وهي العائلة الكبيرة التي تتكون من الجد والجدة وأولادهم وأحفادهم، الأب والأم والأولاد والبنات، في مراحل عمرية مختلفة، وهو في الحقيقة يتألف من قسمين، القسم



الأكبر يعيش فيه الجد والجدة والابن الأكبر (ابن الجد) وأولاده، والقسم الثاني الأصغر تعيش فيه أخت الأب الكبيرة (العمة) مع زوجها وأولادها. (شكل ٨-٢)

يتكون البيت من ثلاث أدوار، دور أرضي وطابقين، الدور الأرضي يضم معظم غرف وخدمات المعيشة، والدور الأول بني فيه مجلس لاستقبال الضيوف، وإقامة الخطباء الذين يأتون من خارج الأحساء للقراءة الحسينية، وبعض الغرف تستخدم من قبل العائلة، إضافة للسطح الذي كان يستخدم قديماً في الأحساء أيام الصيف الحارة، وتوجد غرفة صغيرة يسميها أهل البيت (حسينية) لأنها تابع المجلس الحسيني في الدور الأرضي تستخدم لتخزين كل ما يتعلق بأدوات وحاجيات الحسينية. أما الدور الثاني فهو أصغر الأدوار وهو عبارة عن فراغات مفتوحة مقسمة إلى سطوح (هذا ما ذكره لنا صاحب المسكن).^٥

المجلس الحسيني:

ما يهمننا في هذا المسكن هو وجود حسينية أوقفها الجد قبل وفاته، في حدود عام ١٩٥٤م، حيث كان يعيش مع أولاده وأحفاده في هذا المسكن، وتقع عند مدخل المسكن ولها ممر وباب مستقل يلج إليه الداخل بعد المرور عبر المدخل الرئيس للمسكن والدهليز. المجلس الحسيني أو الحسينية مساحتها غير منتظمة، بطول ١٠م تقريباً، وبعرض ٨م للضلع الأطول الذي يقع في عمق المجلس، و٥م للضلع الأقصر، بها تنوع معماري من حيث ارتفاع الأسقف، فالسقف الداخلي أرفع من السقف الذي في مقدمة المجلس، وهذا الارتفاع مقصود، حيث يؤدي لتهوية وإنارة المجلس من خلال الشبائيك المبنية في الأعلى.

المجلس الحسيني مخصص لقراءة الرجال، وتقام فيه مراسم القراءة والعزاء خلال شهر محرم وصفر وبقية المناسبات المعروفة عند الشيعة في الأحساء، إضافة لذلك يستخدم هذا المكان من قبل الأسرة للأغراض الدينية مثل إحياء ليالي القدر والنصف من شعبان وغيرها من المناسبات الدينية بشكل جماعي أو فردي، وبخاصة قراءة القرآن الكريم (الختمة) والأدعية والأذكار حسب ما ذكره لنا صاحب المسكن).^٦

نموذج (٢) بيت صالح العامر:

أولاً: اسم العينة: بيت الحاج صالح العامر.

ثانياً: الموقع: الأحساء - مدينة الهفوف - حي الرفعة.

ثالثاً: نوع العينة: مبنى سكني.

رابعاً: الوظيفة: سكني + ديني (مجلس حسيني للرجال).

خامساً: التصميم والمساحة: بناء محلي، تم تجديده بمواد البناء الحديثة ومساحته ١٣٠م تقريباً.

^٥ مقابلة مع حسن محمد البحراني، ٢٢/١١/٢٠٢٢م، الموضوع: تاريخ وعمارة حسينية بيت البحراني في مدينة الهفوف، مكان المقابلة: بيت الراوي، المرز، جمع سعيد عبدالله الواليل.

^٦ مقابلة مع حسن محمد البحراني، ٢٢/١١/٢٠٢٢م، مرجع سابق.

سادساً: مواد البناء: مواد تقليدية (طين - حجارة جيرية - جذوع النخيل)، جدد بعد ذلك بمواد البناء الحديثة. سابغاً: الفترة التاريخية: تاريخ البناء على مراحل، أقدم بناء كان قبل ١٤٠ سنة تقريباً. ثامناً: نشأة المبنى وتطوره: بني على طراز البناء التقليدي، بعدها هدم وأعيد بناؤه من جديد (بناء اسمنتي - كهرباء - ماء) تاسعاً: التكوين المعماري وأقسام المبنى: يتكون البيت من ثلاث أدوار، الدور الأرضي سكن الأسرة، والأدوار العليا شقق مستقلة للأولاد.

عاشراً: مجتمع العينة: حي سكني تاريخي قديم، يسكنه الشيعة والسنة، مع أغلبية من الشيعة. احدى عشر: عدد أفراد الأسرة: متغير حسب الفترة التاريخية، في حدود ١١ فرد. اثنا عشر: الوضع الحالي للمبنى: لازال موجود في نفس الموقع بعد إعادة بناؤه نبذة عامة عن المسكن:



شكل ٨ - ١٠ إحدى المناسبات في بيت الحاج صالح العامر

يمثل بيت صالح العامر نموذج للمسكن الصغير الذي التزم صاحبه ببناء مجلس حسيني للرجال في المنزل مساحته (١٣ × ١٠م)، وهو وقف قديم من الجد والد الحاج صالح العامر، حيث كان يقيم في هذا المجلس إحياء مناسبات أهل البيت، عندما كان البيت مشيد بنمط البناء التقليدي القديم في الأحساء من الطين والحجارة، وبعد وفاة الجد، قام الابن أحمد بهدم البيت الطيني القديم وإعادة تشييده من جديد بمواد حديثة في نفس موقع ومساحة البيت القديم بتصميم عمراي جديد في حدود عام ١٩٨٨م. (شكل ٨-٨)

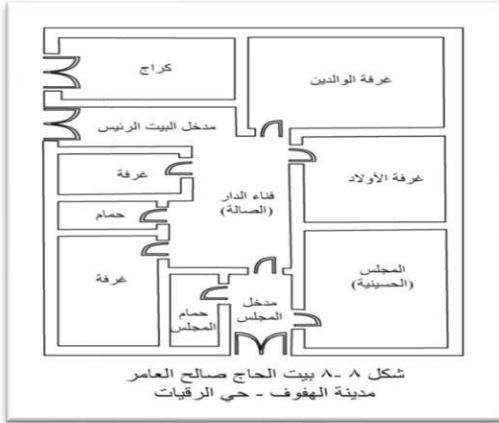
يقع بيت الحاج صالح العامر في وسط المنطقة التاريخية في

الأحساء في فريج الرقيات من حي الرفعة الجنوبية، وهو بيت زاوية على سكتين، وهي سكة ضيقة لا تكفي لعبور السيارات، ويتكون البيت من ثلاث أدوار، دور أرضي يقع فيه المجلس الحسيني، والأدوار العليا تستخدم كسكن لأبناء صاحب البيت المتزوجين، ويضم الدور الأرضي أربع غرف ومطبخ ومخزن ودورة مياه إضافة للمجلس الحسيني الملحق بالمسكن.

المجلس الحسيني:

المجلس الحسيني في هذا المسكن مساحته صغيرة لا تتعدى (٤,٥ × ٣,٥م) بشكل يتناسب مع إجمالي مساحة المسكن ويقع في الجهة الشمالية، وله مدخل خاص مستقل وخدمات مغاسل ودورة مياه. تقام فيه المناسبات الدينية التي يحضرها عدد من الجيران وسكان الحي وأقارب صاحب البيت.

مباني حديثة:



8 نموذج (٣) بيت الحاج جاسم المحمد:

أولاً: اسم العينة: بيت جاسم المحمد.

ثانياً: الموقع: الأحساء - مدينة الهفوف - حي الرفعة.

ثالثاً: نوع العينة: مبنى سكني.

رابعاً: الوظيفة: سكني + ديني (مجلس حسيني للنساء).

خامساً: التصميم والمساحة: تصميم حديث (مكتب هندسي)،

ومساحته ١٥٦ م تقريباً.

سادساً: مواد البناء: مواد بناء حديثة، بناء اسمنتي مسلح.

سابعاً: الفترة التاريخية: تاريخ البناء على مراحل، أقدم بناء

كان قبل ١٦٠ سنة تقريباً.

ثامناً: نشأة المبنى وتطوره: بني على طراز البناء التقليدي،

بعدها تم هدمه وإعادة بناؤه من جديد.

تاسعاً: التكوين المعماري وأقسام المبنى: يتكون البيت من

دورين، دور أرضي لسكن الأسرة والعلوي شقة للأولاد.

عاشراً: مجتمع العينة: حي سكني تاريخي قديم، يسكنه الشيعة

والسنة، مع أغلبية من الشيعة.

احدى عشر: عدد أفراد الأسرة: متغير حسب الفترة

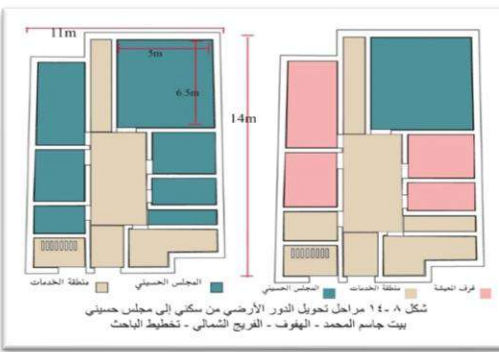
التاريخية، في حدود ١٠ أفراد.

اثنا عشر: الوضع الحالي للمبنى: لازال موجود في نفس

الموقع.

نبذة عامة عن المسكن:

يقع بيت جاسم المحمد في الفريج الشمالي من مدينة الهفوف،



وهو من أقدم الأحياء التاريخية في المدينة ويسكنه غالبية من الشيعة، ويتميز هذا الحي بكثافة السكان واكتظاظ المباني وتداخلها ووجود الممرات الضيقة والسوابيط (الممرات المسقوفة)، وتعد مساكن هذا الحي من أصغر مساحات المساكن المعروفة في الأحساء، بعضها لا يتجاوز ٥٠ متراً. ويرجع هذا البيت في الأساس للحاج عبد الله النجار حيث كان مشيداً بنمط البناء التقليدي بالطين والحجارة، وقد أدخل صاحبه القديم بعض التعديلات الحديثة عليه قبل أن يبيعه، حيث اشتراه الحاج جاسم المحمد في عام ٢٠١٠م وقام ببنائه من جديد وأدخل عليه تعديلات جديدة. (شكل ٨-١٣)

تبلغ مساحة بيت المحمد ١٥٦ متراً ويتكون البيت من دورين؛ دور أرضي ويعلوه شقة في الدور الأول، ويضم الدور الأرضي أربع غرف وصالة ومطبخ ومخزن ودورة مياه، إضافة للمجلس الحسيني، وهي من الغرف الصغيرة التي لا يتعدى مساحتها (٣,٥ × ٣م) مثل بقية المساكن في هذا الحي.

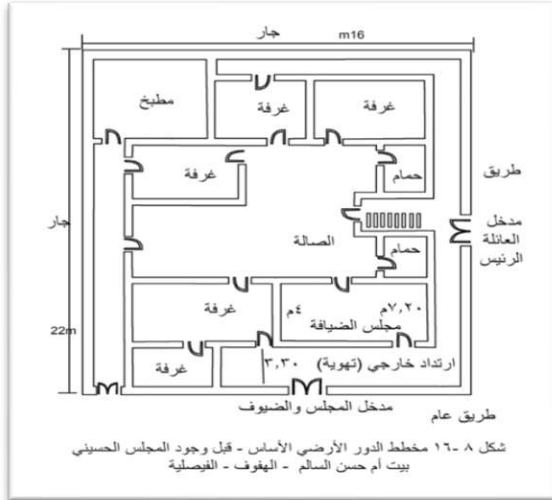
المجلس الحسيني:



كانت تسكن هذا البيت امرأة فاضلة تقرأ في المآتم (مطوّعة) (زوجة الحاج عبدالله النجار)، عملت على تحويل الجزء الخلفي من المسكن إلى مآتم حسيني للنساء، مستغلة وجود فضاء مفتوح في نهاية المسكن يستخدم لأغراض مختلفة، واستمرت القراءة الحسينية حتى وفاتها، حيث اشترى هذا المسكن صاحب البيت

المجاور له (الحاج جاسم المحمد) بقصد التوسع، وتم بناء هذا البيت من جديد مع الحفاظ على الفراغ الداخلي الذي تشغله الحسينية، فاستمر السكان الجدد من عائلة المحمد على نفس المنوال في إحياء الشعائر الدينية في المجلس الحسيني المخصص للنساء حسب رواية صاحب المسكن، وبعد سنوات لوفاة الأب والأم واستقلال الأولاد في مساكن خاصة، قام الابن الأكبر بتحويل كامل المبنى في الدور الأرضي إلى حسينية، والإبقاء على الفراغات والغرف الداخلية كما هي دون دمجها في مكان واحد.^٧ (شكل ٨-١٤)

^٧ مقابلة مع فوزي سلمان الدخلان، ٢٠٢٢/١/٢م، الموضوع: تاريخ وعمارة حسينية الدخلان، الفريج الشمالي، مكان المقابلة: حسينية الدخلان، الأحساء، الهفوف، جمع سعيد عبدالله الوائل.



نموذج (٤) بيت أم حسن السالم:

أولاً: اسم العينة: بيت أم حسن السالم.

ثانياً: الموقع: الأحساء - مدينة الهوف - حي الفيصلية.

ثالثاً: نوع العينة: مبنى سكني.

رابعاً: الوظيفة: سكني + ديني (مجلس حسيني للنساء).

خامساً: التصميم والمساحة: تصميم حديث (مكتب

هندسي)، ومساحته ٣٥٠م.

سادساً: مواد البناء: مواد بناء حديثة، بناء اسمنتي

مسلح.

سابعاً: الفترة التاريخية: تاريخ البناء (١٩٧٧م - ١٣٩٧هـ)

ثامناً: نشأة المبنى وتطوره: تم البناء مع بدايات السكن في حي الفيصلية.

تاسعاً: التكوين المعماري وأقسام المبنى: يتكون البيت من دورين ونصف، دور أرضي لسكن الأسرة

والعلوي شقق للأولاد.

عاشراً: مجتمع العينة: مخطط سكني حديث، يسكنه أغلبية من الشيعة.

احدى عشر: عدد أفراد الأسرة: متغير حسب الفترة التاريخية، في حدود ١٢ فرد.

اثنا عشر: الوضع الحالي للمبنى: لازال موجود في نفس الموقع.

نبذة عامة عن المسكن:



شكل ٨ - ١٧ مجلس بيت أم حسن السالم في حي الفيصلية بعد تحويله إلى مجلس للقراءة خاص بالنساء - تصوير الباحث

يقع بيت أم حسن السالم في حي الفيصلية

في مدينة الهوف القريب من مدينة

المبرز، ويسكنه غالبية من الشيعة،

ويتميز هذا الحي بأنه من الأحياء

الجديدة الذي انتقل إليه السكان من

الأحياء التاريخية القديمة، أو السكان

الذين انتقلوا من الأحياء التي بنيت بعد

ذلك خارج سور مدينة الهوف، أي

يمكن تصنيفه كمرحلة ثالثة من التنقلات

السكانية من وسط المدينة، ومساكن هذا الحي محددة بمساحات معينة أرض كاملة (٣٥٠م) أو نصف أرض (١٧٥م)، شيد هذا المسكن في عام (١٩٧٧م - ١٣٩٧هـ) كسكن للعائلة التي انتقلت من حي الشعبة القديم في مدينة المبرز، وتبلغ مساحته ٣٥٠م، البيت يقع على شارعين أو كما يعبر عنه محلياً (ركني) ويتكون من دور أرضي للعائلة ودور علوي به ثلاث شقق للأولاد. ويضم الدور الأرضي خمس غرف وصالة ومطبخ ومخزن ودورة مياه، إضافة للمجلس، وتحيط به ارتدادات كفضاء مفتوح (تهوية) في حدود ١,٧٠م من الجهات الأربع (متغير في بعض الجهات). (شكل ٨-١٦)

المجلس الحسيني:

تسكن هذا البيت امرأة فاضلة، عملت على تحويل مجلس البيت العام من المسكن إلى مأتم حسيني للنساء، مستفيدة من بعض الفراغات الداخلية المتوفرة بعد زواج البنات وإخلاء الغرف التي كانت لهن، وانتقال الأولاد الكبار إلى شقق خاصة في نفس المنزل، ووجود مدخل مستقل لهذا المجلس من الجهة الشمالية يستخدم لأغراض مختلفة، وقد بدأ التعديل على هذا المسكن عام (١٩٨٢م - ١٤٠٢هـ) برغبة من الأم حيث تم تحويل المجلس بكامله إلى مجلس حسيني للنساء، دون أي إضافات، واستمرت القراءة الحسينية حتى عام (٢٠٠٩م - ١٤٣٠هـ) حيث بدأ التعديل الأول على مساحة المجلس الحسيني عندما توفى الأب وتحولت العائلة إلى مسكن جديد في مدينة المبرز. (شكل ٨-١٧)

كان التعديل الأول بإدخال جزء من الارتداد الخارجي (التهوية) الواسع باستقطاع مترين وضمها للجهة الشمالية من المجلس، كذلك فتح المجلس على الغرفة الجنوبية وضمها للمجلس عن باب كبير متحرك، وعمل فتحة في الجدار الغربي للخروج منها للمغاسل التي أضيفت في الارتداد الخارجي. وبناء دورة مياه عند المدخل في الارتداد الخارجي.



النتائج والتوصيات.

أولا - نتائج الجانب النظري:

- تشكل عمارة المباني الدينية وبيوت العبادة جزء هام من تاريخ البشرية، وقد اعتمدت الدراسة في البداية على المنهج التاريخي للوقوف على بيوت العبادة لدى مختلف الأديان والطوائف ومسمياتها والطقوس والشعائر الدينية المرتبطة بها وبخاصة بيوت العبادة في الجزيرة العربية قبل الإسلام.

- روحانية الشعائر والطقوس التعبدية في الدين الإسلامي انعكست على تصميم الفراغات الداخلية وتجلت في روعة وإبداع الفن الإسلامي في العمارة. وانعكس ذلك في خلق فراغات وفضاءات معمارية تساعد المتعبدين على التوجه الوجداني والروحي.

- الدور الأساسي للمسجد في الحياة الدينية والعبادية عند المسلمين، والتغيرات التي دخلت على تصميمه وعمارته منذ المساجد الأولى في عهد النبي محمد (ص)، وما حدث بعد ذلك من انقسامات فكرية ومذهبية بعد وفاته وتأثيرها على الفكر المعماري الديني وبيوت العبادة وتعددتها عند مختلف المذاهب والطوائف الإسلامية.

- تعكس المباني الدينية وبيوت العبادة التاريخية في الأحساء طبيعة المعمار الديني والذي يحمل سمات معمارية وحضارية هامة، ترتبط بالطرز العمرانية المحلية وتعكس أسلوب البناء والمواد المستخدمة بشكل عام، مع ما لها من خصوصية، حيث يحمل المعمار الديني في الأحساء نمط مميز له دلالاته يعكس خصوصية العمارة الأحسانية.

- تمثل الأحساء مثالاً للتعايش السلمي بين مختلف الطوائف من سكانها حيث عرفت الأحساء منذ القدم كمثال للتعايش والتجانس في كافة مدنها وقراها.

- نعم الشيعة في ظل الحكم السعودي كخيرهم من المواطنين بالأمن والاستقرار وممارسة شعائرهم الدينية في رعاية الدولة ببسر وسهولة، فقبل قيام الحكم السعودي كانت الأحوال مضطربة مع صعوبة أداء الشيعة لشعائرهم. وقد ساهمت الحكومة السعودية في دعم الشيعة وتأمين السلامة لهم في كافة الأحداث التي مرت به المنطقة.

- يختص أتباع المذهب الشيعي في الأحساء بنوع من المباني الدينية تعرف ب (الحسينيات) أو (المجالس الحسينية) أو (المآتم)، والتي تقام فيها مختلف المناسبات الدينية والاجتماعية على مدار العام.

- نشأت المباني الدينية عند المسلمين الشيعة في الأحساء نتيجة حاجة لأداء وممارسة الشعائر والطقوس الدينية، لارتباطها بالمعتقدات الدينية والتي يشكل إحياء المناسبات الدينية جزءاً منها.

- أهمية الأوقاف والنذور ودورها كرافد أساس في دعم المنشآت والمباني الدينية واستمرارية الشعائر الحسينية.
- اختص الشيعة بمبان خصصت كمدارس دينية تعرف ب (الحوزة) تدرس فيها العلوم والمناهج الدينية التي تخرج رجال الدين.
- تطور أسلوب تخطيط المجالس الحسينية مع تطور أساليب البناء والمواد المستخدمة مثل بقية المباني.
- لم تكن عمارة المجالس الحسينية عند الشيعة في الأحساء مرتبطة بالميسورين أو بطبقة اجتماعية محددة، وإنما يمكن أن نجدها عند مختلف شرائح المجتمع. لذا جاءت عمارتها حسب قدرة العائلة أو الشخص القائم على عمارتها.
- تميزت بعض المجالس الحسينية بتصميم داخلي مدروس ومميز.
- لا يقتصر دور المسكن على المعيشة وإنما قد يتعداه في بعض الأحيان إلى ممارسة دور اجتماعي وديني.
- يحتاج تصميم المسكن وتكوينه المعماري إلى إدخال بعض التعديلات كي يتناسب مع الوظيفة الدينية في عمل مجلس حسيني.
- يواجه أصحاب المساكن أثناء عملية تكييف المبنى في تصميمه الداخلي كي يتناسب مع الوظيفة الدينية بعض الصعوبات تتعلق بالتكوين الإنشائي للمبنى.
- تتطلب الشعائر والمناسبات الدينية وتعددتها واستمراريتها على مدار العام عند الشيعة وجود فضاءات ومبان عمرانية تمارس فيها هذه الشعائر للرجال والنساء.
- على الرغم من عدم بروز الشكل المعماري في تصميم الواجهات والبوابات الخارجية للحسينيات إلا أنها تعتبر من المباني المحورية في الحي الذي توجد فيه، وتقوم بدور اجتماعي كبير.
- تأخذ المجالس والمآتم الحسينية الخاصة بالنساء أهمية وعناية خاصة تتوافق فيه مع طبيعة المرأة وخصوصيتها، وأهمها عدم اختلاط الرجال بالنساء في المناسبات الدينية.
- من أهم أهداف الديكورات الداخلية في المآتم والمجالس الحسينية استخدامها وتوظيفها كوسيلة للإيحاء بأهمية الشعائر والطقوس الدينية.
- الديكورات الداخلية من المتغيرات في الحسينيات في المناسبات الدينية على مدار العام، وتختلف فيها ديكورات المناسبات الحزينة عند ديكورات المناسبات السعيدة.
- ترتبط الديكورات الداخلية للمجالس الحسينية بالمكان الذي توجد فيه وثقافة القائمين عليه، وقد تميزت ديكورات بعض المجالس الحسينية بالغنى والثراء الفني.

- يعبر وجود المجلس الحسيني في المسكن عن عدة مضامين إنسانية غير مادية تتجه ناحية تلبية حاجات الإنسان الروحية والنفسية والوجدانية، ويدعم وجود فراغات عمرانية يتم توظيفها لأغراض اجتماعية ودينية في المسكن، جانب التواصل الاجتماعي بين أصحاب البيت أنفسهم وبقية الأهل والجيران والأقارب وهي تستجلي التوجه نحو عمارة أكثر إنسانية تلبي احتياجات الإنسان الروحية إضافة لراحته الجسدية.

ثانياً - نتائج الجانب العملي:

- من خلال دراستنا الميدانية وما توصلنا إليه من نتائج يمكن أن نعتبر المجلس في المباني السكنية في الأحساء وتحويله إلى حسينية في شكله كفراغ عمراني مستقل كان هو النواة الأولى للكثير من الحسينيات العامة التي كانت في بدايتها عبارة عن مجلس خاص في نطاق مخطط سكني للعائلة.
- يظهر من خلال البحث الميداني أن هنالك نمطين للحسينيات في الأحساء، الأول يرتبط بالمباني التاريخية القديمة المشيدة بمواد تقليدية، والثاني يتعلق بالمباني الحديثة. وهو ما يؤكد استمرارية هذه المباني الدينية وحاجة السكان الشيعة لها، وعلى ارتباط نمط عمارة الحسينيات بنمط عمارة العصر الذي شيدت فيه.
- يمر التصميم الداخلي للمجالس الحسينية المرتبطة بالمساكن بعدة مراحل، ينطلق عادة من مجلس الضيافة في المسكن، وقد يمتد ليشمل بعض الفراغات المجاورة له.
- في عمارة المجالس الحسينية يمكن ملاحظة عدم وجود مظاهر عمرانية ظاهرة أو بارزة من الخارج أو وجود أي مظاهر تدل على أنه مبنى ديني يميزه عما جاوره من المباني، وينطبق هذا المعنى أكثر بالنسبة للمساكن التي تم تحويل مبناها إلى مجلس حسيني، لذلك يصبح المبنى من الخارج وشكل واجهته وبوابة المدخل فيه ليس فيها أي عنصر بارز، وتختلط مع بقية واجهات المباني المجاورة.
- يقوم أصحاب المجالس بجهد كبير مع أفراد أسرهم لتأمين كافة الخدمات والمتطلبات وخدمة الحضور في المناسبات الدينية.
- غالباً ما خلقت مسألة تحويل المبنى السكني إلى مبنى ديني مشكلة للمجاورين بسبب الازدحام في المناسبات الدينية والاجتماعية التي تقام في الحسينية، وما ينتج عن ذلك من حركة الناس حول المبنى، وعدم وجود مواقف كافية.
- فقد النمط المعماري الحديث للمباني الدينية الكثير من الخصوصية التي كانت موجودة في العمارة التقليدية والتي كانت عمارة متوافقة مع ظروف البيئة والأرض.

- من مميزات النمط المعماري الحديث أنه أتاح مساحة أكبر للمباني الدينية والحسينيات، مما كان موجوداً في السابق، بسبب المساحة المحدودة للمباني التقليدية في الأحياء القديمة. كذلك انعكست الظروف المادية وتحسن أحوال المعيشة في عمل إضافات وتجديدات وتوسعات لم تكن متاحة قديماً.

التوصيات:

- تمثل المباني الدينية وبيوت العبادة عند مختلف المذاهب في الأحساء إرث حضاري وثقافي عظيم، يرتبط بعراقة التاريخ والإنسان على هذه الأرض المباركة (المملكة العربية السعودية). يجب صونه والاهتمام به.
- توصي الدراسة بضرورة توثيق مختلف الجوانب المتعلقة بالمباني الدينية في الأحساء، وأهمية القيام بعمل دراسات تخصصية معمقة حول الجوانب التي طرحها الباحث.
- تحتاج بعض المباني الدينية التاريخية عند الشيعة في الأحساء إلى الحفاظ عليها وحمايتها وصونها وترميمها. كنموذج للموروث الثقافي والحضاري للمملكة العربية السعودية، فهو تراث وطني لا يخص الشيعة وحدهم.
- وضع التشريعات والقوانين التي من شأنها تسجيل هذه المعالم والنماذج المعمارية من ضمن المباني الأثرية كمعالم حضارية تحميها من الزوال أو التعدي.
- إمكانية الاستفادة من المباني التاريخية والتجارب والفكر المعماري التاريخي لعمارة الأباء والأجداد في عمارة المباني الدينية في العصر الحالي.

الخلاصة.

تمثل الدراسات العمرانية المتعلقة بالمباني الدينية وبيوت العبادة حقل هام في مجال الدراسات العمرانية وما يرتبط بها من أساليب عمرانية وقيم إنسانية وروحية، وهو أمر يرتبط في سياقه العام بالبحث الاجتماعي والثقافي والعمراني، فإن للعمارة دور حيوي وكبير في ترجمة الكثير من المعاني الإنسانية عبر إبداع الإنسان المستمر في بحثه عن ما يلائم متطلباته ويحقق رغباته، فالتكوين العمراني ليس مجرد بناء أو وجود مادي على مساحة من الأرض، إنما هي إبداع مستمر يواكب تطلعات الإنسان وتطور أدواته التي يستخدمها في تحقيق ذاته من خلال العمارة

وبخاصة عندما يتعلق الموضوع ببقعة جغرافية هامة من أرض الجزيرة العربية، مثل الأحساء بثقلها وعمقها التاريخي والاجتماعي والثقافي الكبير، والتي كانت ولا تزال حافلة بأنماطها وطرزها العمرانية، وبخاصة ما

يرتبط بمبانيها الدينية وبيوت العبادة لكافة أفراد المجتمع من الشيعة والسنة، والتي عبرت عن عظمة الإنسان الذي يعيش على هذه الأرض.

ولقد كان للنواحي الدينية وما يرتبط بها من معتقدات وشعائر وطقوس دينية تأثيرها الواضح على العمارة الأحسانية، وبخاصة ما يتعلق بعمارة المسكن عند أتباع المذهب الشيعي، حيث لاحظنا من خلال الدراسة واستعراض مختلف الجوانب المتعلقة ببناء المسكن وعمارته وتصميمه الداخلي استعداد المجتمع الشيعي وبذلم الكثير من الطاقات من أجل تحقيق أهداف وغايات اعتقادية تتعدى مفهوم وجود بناء مادي إلى ما هو أبعد من ذلك وهو تحقيق هذا المبنى وتكليفه كي يتناسب مع أداء مختلف الشعائر والطقوس التعبديّة، وهو ما يتضح من خلال ما تم عرضه من شواهد ونماذج وأدلة تؤكد على هذا الارتباط.

لا تدخل هذه الدراسة في إطار تصنيف مذهبي أو طائفي لمجتمع الدراسة، وإنما هي تتجه نحو معايشة وفهم الوضع القائم والواقع الذي يعيشه المجتمع ووجوده، حيث تعتبر المباني الدينية التي ترجع لأتباع المذهب الشيعي في الأحساء تراثاً ثقافياً كبيراً وضخماً، لم يتم تناوله بشكل مفصل ولم يدون عنه إلا القليل ولم يدرس بشكل علمي رغم كثرة الكتابات التي تناولت جوانب تاريخية ودينية في العقائد والأصول والفقه وسير العلماء ورجال الدين، فهو تاريخ يتصل بشكل مباشر بتاريخ المجتمع وحياة الناس ومعتقداتهم والأعراف والتقاليد التي درجوا عليها، وهو موضوع في ذات الوقت يتداخل بشكل جذري من ناحية تاريخية مع مختلف التطورات في الحياة السياسية والاجتماعية، والدول والممالك التي كان لها وجود في هذه المنطقة، فلقد عاش الشيعة معاناة كبيرة من أجل الحفاظ على هويتهم ومعتقداتهم واستمراريتها من خلال هذه المباني، التي شكلت الحاضنة الرئيسة لممارسة معتقداتهم وشعائرهم في المناسبات الدينية والاجتماعية.

ولقد كان لاستقرار الوضع الأمني والسياسي والاجتماعي في ظل حكومة المملكة العربية السعودية، منذ عهد المؤسس الملك عبد العزيز آل سعود طيب الله ثراه، واستمرارية النهج الحكيم لأبنائه من بعده؛ الدور الكبير في بناء المجتمع السعودي المعاصر بكافة أطيافه ومذاهبه كمجتمع مدني متحضر تسوده الألفة والمحبة والتعايش السلمي، وممارسة الشيعة لمعتقداتهم وشعائرهم الدينية بحرية في وسهولة.